خطبة الجمعة وأثرها في ترسيخ العقيدة وعلاقة ذلك بالجوانب التربويّة والاجتماعيّة

د. عبدالكريم نوفان عبيدات (*)

(*) أستاذ مشارك بقسم العقيدة - كلية الشريعة والقانون - جامعة إربد الأهلية - إربد - الأردن.

ملخص البحث:

تحتل خطبة الجمعة في الإسلام مكانة كبيرة، ربما تتفوق على الوسائل الدعوية الأخرى، وذلك لمكانة يوم الجمعة عند المسلمين، ولأن الخطبة في صلاة الجمعة تطل عليهم كل أسبوع، وتستقطب جمهوراً من المستمعين لها من مستويات ثقافية واجتماعية متفاوتة.

وقد كانت الخطبة في عهد الرسول ﷺ ترتكز على ترسيخ الإيمان في النفوس، وذلك من خلال ترغيب المسلمين بالجنة وتحذيرهم من النار، فكانت خطبه ﷺ القوة الفاعلة في المجتمع الإسلامي، مما أدّى إلى إحداث التغيير في جوانب الحياة المختلفة، التي جعلت من المسلمين خير أمة أخرجت للناس.

والدراسة التي بين أيدينا قامت على بيان أهمية خطبة الجمعة في ترسيخ الإيمان في النفوس، وتأثير ذلك على الجوانب التربوية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، باعتبار الإيمان هو القادر على تفجير الطاقات المعطّلة، وكبح جماح النفوس الأمّارة بالسوء، ومغالبة الأهواء الفاسدة، كما أن الإيمان قادر على معالجة الاختلالات التربوية والاجتماعية عند المسلمين، وهي – بلا شك – كثيرة وعميقة.

إن خطبة الجمعة تضطلع بدور رائد في هذا الميدان وبقوة أكبر من سلطان القانون، إذا أحسن اختيار الخطباء الأكفياء.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:

لا يخفى على كل مسلم أهمية خطبة الجمعة كوسيلة دعوية، تسهم في ترسيخ العقيدة في النفوس، وتصحيح المفاهيم، وتربية السلوك الفردي والجماعي، في كل زمان ومكان.

ولقد كانت خطب الرسول ﷺ ذات ومضات خالدة، يلقيها على الناس، فتتلقاها قلوبهم، حتى إذا تفرقوا كانت لها مواجد، تبعث على التأمل والتفكر، مما ينمي التكوين التربوي للفرد المسلم بصورة ذاتية. ولقد كان القرآن متتبعاً لأحوال الأنصار، كما كان متتبعاً لأحوال المهاجرين قبل هجرتهم، ونزلت نصوص خاصة، تعالج واقعهم، وتصحح ما اعوجّ من تصرفاتهم، فيقرؤها النبي ﷺ، مربّياً إياهم عبر المنهج المنبري غالباً، فتخرّج الأنصار والمهاجرون من مدرسة توحيدية نبوية، فارتبطوا بالله عز وجل، صادقين موقنين، وكان للمنبر النبوي أثره التربوي العظيم في حياتهم الإيمانية، فكانوا جنوداً وحماة للإسلام، مبادرين إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، يمشي الطهر والصدق، وكل معاني الخير معهم.

وإذا كان للمنبر أيام الرسول ﷺ أثره، فينبغي أن يكون له أثره – أيضاً – في وقتنا الحاضر، بترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين، لأن من شأن ذلك أن يوجد الحوافز عندهم، لفعل الخير، وتجنب الشر، لأن العقيدة هي الطاقة الهائلة التي تحدث التغيير في نفوس الأفراد والجماعات، وهي الحصانة لهم عندما تدلهمّ الخطوب والملمّات.

والذي ينظر في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، يجد اختلالاً واضحاً في الجوانب التربوية والاجتماعية، كما يجد انحساراً في الالتزام بأحكام الإسلام، إذا قورن ذلك بما كانت عليه الأمة الإسلامية في ماضيها. كما يلاحظ أن خطبة

الجمعة قد ضعف تأثيرها في نفوس المسلمين، وأصبحت صلاة الجمعة تقليداً عند بعض المسلمين، بل ربما وصل الأمر أن يضجر كثير من المصلّين منها.

ولا يخفى أن ذلك يعود إلى أسباب كثيرة، لعل من أهمها اضمحلال تأثير الإيمان في النفوس، وهذا عائد في بعض جوانبه إلى عدم قدرة بعض خطباء الجمعة على إثارة كوامن الإيمان في قلوب الناس، واستثمار ذلك في حملهم على الالتزام بتعاليم الإسلام، والكف عما حرّم الله تعالى، وإحداث التغيير المنشود في واقع الأمة، والقدرة على معالجة الاختلالات التربوية والاجتماعية، وهي بلا شك كثيرة وعميقة.

لقد انتقل الرسول ﷺ بالعرب من الكفر إلى الإيمان، ونقلهم نقلة تربوية واجتماعية كبيرة، وذلك من خلال استثارة رصيد الفطرة البشرية فيهم، ومكث عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً، وهو يعمّق الإيمان في نفوسهم، حتى أشرقت أنواره في حياتهم، وكان هذا الإيمان هو المحرّك لطاقاتهم وإبداعاتهم، وأصبحوا بذلك سادة الدنيا، ومعالم هادية، ينيرون للبشرية طريقها الحالك.

وخطبة الجمعة اليوم يمكن أن تضطلع بدور رائد في حفز الهمم، وإحداث التغيير المنشود في واقع الأمة الإسلامية، إذا أحسن عرضها، وارتكزت موضوعاتها على الإيمان بالله تعالى، فالإيمان هو القوة الفاعلة، والقادر على كبح جماح النفوس المتعطشة للشهوات، والمتفلّتة من الالتزام بأحكام الله تعالى. ولعل ما ورد عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– خير دليل على ذلك، فقد قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه (أي القرآن) سورة من المفصَّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً"(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، ورقمه ٤٩٩٣ انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٩/٣٨-٣٩، ط المكتبة السلفية.

ولا يمكن لخطيب الجمعة، ولا لأي مصلح تربوي أو اجتماعي أن يحدث التغيير في أحوال المجتمعات إلا من خلال ربط أفرادها بالله تعالى، وهذا هو ما فعله الرسول ﷺ طيلة حياته الدعوية، ومن ثم ينبغي أن يركّز على هذه الحقيقة في مناهجنا التربوية والتعليمية، وفي وسائل إعلامنا المختلفة.

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث وهدفه المنشود، من خلال بيان أثر خطبة الجمعة في تعزيز الإيمان في النفوس، وقدرته على التغيير في حياة الأمة الإسلامية.

وسلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي، يتمثل في وصف ما كانت عليه خطب الرسول ﷺ والركائز التي اعتمدت عليها والمتمثلة في الإيمان بالله تعالى، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار.

كما قام هذا المنهج على وصف لواقع خطبة الجمعة في الوقت الحاضر، وبيان أوجه القصور فيها، وعدم قدرة كثير من الخطباء على استثمار رصيد الفطرة البشرية في النفوس بالشكل الذي يثمر التزاماً واعياً من قبل الناس بأحكام الإسلام، والابتعاد عما حرّم الله تعالى.

وحرصت على تحليل بعض خطب الرسول ﷺ في المدينة وبيان مكانة العقيدة، ليكون ذلك حافزاً لخطباء الجمعة في الوقت الحاضر للتركيز عليها في خطبهم.

وأما الدراسات السابقة في هذا الميدان، فلا شك أن علماءنا – قديماً وحديثاً – قد بيّنوا ذلك في مؤلفاتهم، وإن لم يفردوا كتباً مستقلة –فيما أعلم– في بيان أثر خطبة الجمعة في ترسيخ العقيدة، وعلاقة ذلك بالجوانب التربوية والاجتماعية، وإنما جاء الحديث عن هذا الموضوع مفرّقاً في تصانيفهم في فنون العلوم الشرعية المختلفة.

وحاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أنبه على أهمية خطبة الجمعة في ترسيخ العقيدة، مبيناً تأثيراتها التربوية والاجتماعية، ليكون ذلك مرتكزاً لإحداث التغيير المنشود في حياة الأمة الإسلامية، ولمعالجة الاختلالات: الفكرية

والتربوية والاجتماعية، والسياسية وغيرها، باعتبار خطبة الجمعة تشكل رأياً جماعياً فاعلاً ومؤثراً في نفوس المسلمين.

أما خطة البحث فقد جاءت على النسق التالي:

- التمهيد:
- المبحث الأول: أهمية العقيدة.
- المبحث الثاني: أهمية خطبة الجمعة كوسيلة دعوية.
- المبحث الثالث: أثر خطبة الجمعة في ترسيخ العقيدة.
- المبحث الرابع: أثر خطبة الجمعة في الجوانب التربوية والاجتماعية.
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والسداد، وهو حسبي ونعم الوكيل

تمهيد

أولاً : مفهوم العقيدة:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العَقْد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والوثوق، ومنه: عَقَد الشيء، يَعْقِده، عَقْداً، وانعقد وتعقّد، وعقدت الحبل، أعقده، عقداً، وقد انعقد: جعلت فيه عُقْدة.(١)

والعقد يستعمل في المعاني والأجسام، فمن استعمالاته في المعاني أن يقال: عقد العهد واليمين، يعقدهما، عقداً، أي: أكدهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣]، كما استعمل العقد في البيع والنكاح وغيره، وهو إبرامهما وإحكامهما ووجوبهما.

ومنه: اعتقد الأمر: أي صدقه، واعتقدت أمراً ما: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة: هي ما يدين الإنسان به.(٢)

وأما العقيدة في الاصطلاح: فيراد بها: ما يدين به الإنسان، ويعقد عليه قلبه، ويشتد استمساكه به من مسائل الإيمان، كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وغير ذلك من الحقائق الإيمانية، الثابتة في الكتاب والسنة.(٣)

ومن هنا فإن مصطلح العقيدة الإسلامية يطلق على أركان الإيمان الستة، أو على أبوابه الثلاثة المعهودة: الإلهيات والنبوات والسمعيات، وعلى سائر ما انطوت عليه هذه الأبواب من المسائل والأحكام التي جاءت في صريح القرآن

---

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، مادة: عقد..

(٢) انظر: تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٧هـ، مادة: عقد.

(٣) انظر: المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبدالرحمن صالح وآخرون، ص ٤١٠، ط١، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

والسنة، والتي يسلّم بها لذلك عقل الإنسان، ويطمئن إليها قلبه، والتي يبلغ تصديقه بها درجة اليقين الذي لا يخالطه ريب، ولا يتطرق إليه الشك.(١)

ثانياً: مفهوم الخُطْبة:

الخطبة في اللغة: مشتقة من الفعل خَطَب، يقال: خطب الناس، وفيهم وعليهم، خَطَابة، وخُطْبة: ألقى عليهم خُطْبة، وخاطبه، مخاطبة، وخطاباً: كالمه وحادثه، ووجّه إليه كلاماً(٢). وخطب الخاطب على المنبر خَطَابة وخُطْبة، وهي الكلام المنثور المسجَّع ونحوه(٣).

الخطبة في الاصطلاح: عرفها الجرجاني بقوله:" الخطابة: قياس مركَّب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعّاظ "(٤).

وعرفها الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: الخطابة: من مخاطبة الجمهور وإقناعه واستمالته، وذلك بقوانين تُعرِّف الخطيب بطرق التأثير ووسائل الاقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما يختار من موضوعات، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها"(٥).

ومن التعريفات التي تقدمت، يظهر أن الخطابة فن له أربابه، يهدف إلى إقناع المخاطبين واستمالتهم إلى ما يريد الخطيب إقناعهم واستمالتهم إليه، في أمور تعود عليهم بالنفع في أمور دينهم ودنياهم، ولا يتأتى ذلك إلا من خطيب ملك ناصية البيان، وكان متصفاً بالخلق الكريم، وهذا ما يجب أن يكون عليه خطيب الجمعة.

---

(١) انظر: المصدر السابق ٤١٠، وعقيدة التوحيد في القرآن، محمد ملكاوي، ص ٢٠، ط١، دار ابن تيمية للنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، ص ٢٤٢-٢٤٣، ط دار الدعوة، استانبول، تركيا ١٩٨٩.

(٣) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، ص ٧٥. ط٢، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

(٤) التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ١٠٣، ط مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٥) الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص ٩، دار الفكر العربي، ١٩٨٠.

المبحث الأول
أهمية العقيدة

للعقيدة أهمية كبيرة، تفوق أهمية كل شيء في هذا الوجود، ويمثل الإيمان بالله تعالى أساسها وأصلها وعمادها، بل هو أصل الدين، باعتباره مكوناً من الجانب النظري وهو الإيمان والاعتقاد، والجانب العملي الذي يمثل ثمرة الاعتقاد.

وأهمية العقيدة تنبع أولاً من مصدرها، باعتبار أن الذي أنزلها هو رب العالمين، وثانياً من الآثار التي تحدثها في سلوك الأفراد والجماعات.

ويمكن القول: إن أهمية العقيدة تبرز في جملة من الأمور، يحسن بنا إلقاء الضوء عليها:

١ - إنها الأساس في دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام:

"فقد أجمع الرسل جميعاً على دعوة الناس إلى توحيد الله والإيمان به، وأنه خالق عظيم، ورب كبير كريم، فاطر السماوات والأرض، له الخلق والأمر، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، ودعوتهم كذلك إلى الإيمان بالبعث، والجزاء، واليوم الآخر، وبالملائكة، وبسائر الرسل والأنبياء".(١)

وما من رسول إلا دعا قومه إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة دون سواه، كما توضحه العديد من الآيات القرآنية:

أ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. [النحل: ٣٦].

ب - وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾. [هود: ٢٥، ٢٦]

---

(١) فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية، محمد صالح سمك، ط٢، ١٩٧٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

ج – وقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾. [يوسف: ٤٠]

د – وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾. [الأنعام: ١٦٢،١٦٣]

وهذه الدعوة إلى العقيدة ضرورة، لأنه لا يقبل أي عمل عند الله سبحانه إلا إذا قام على أساس من الإيمان به، لقوله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧]. وعلى هذا فإن الكافر مهما قدم من أعمال نافعة في الدنيا، فإنه لا قيمة لها في ميزان الله تعالى، لأن الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الأعمال مفقود ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى:٢٠].

وهذا المعنى توضّحه العديد من الآيات القرآنية، ومنها:

أ – قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾. [النور: ٣٩]

ب – وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

ج – وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]

وهكذا فإن العقيدة هي الأصل والأساس الذي تبنى عليه الأعمال جميعها، فما لم تتوافر هذه العقيدة ويصح الإيمان، فلا قيمة للعمل مهما علت درجته في الخير والنفع، ومهما بذل فيه الإنسان، وفي المقابل إذا ما توافر الإيمان وصحّت العقيدة، فإن التقصير في العمل أو نقصانه لا يخرج الإنسان من دائرة الإيمان.

وأما السنة، فقد وردت أحاديث عديدة تدل على أن العقيدة هي الأساس في دعوة الرسول ﷺ، فمن ذلك:

١ - ما كان يقوله ﷺ لعمه أبي طالب: "أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله"[(١)].

٢ - أن النبي ﷺ كان يطوف على الناس بذي المجاز، يقول لهم: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[(٢)].

٣ - قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين بعثه إلى اليمن "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله.."[(٣)].

٤ - عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[(٤)].

"وإذا تقصينا سيرة الرسول في مكة، وتأملنا التنزيل في تلك الفترة، رأيناه عليه الصلاة والسلام قد وقف قلبه وجهده، ووهب حياته وحياة أنصاره لتمكين هذه الدعامة الأولى وإظهارها. خاصم أعداءه وهادنهم، ونفر ورضي، واستصرخ أهل الأديان الأخرى ليلتقوا معه على كلمة سواء هي: عبادة الله لا شريك له ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[(٥)] [آل عمران: ٦٤]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"، انظر: فتح الباري ٨/٥٠٦، ط المكتبة السلفية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب، ورقمه ٣٨٨٤، انظر: فتح الباري، ٧/١٩٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة. انظر: فتح الباري ٣/٢٦١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة..." انظر: فتح الباري ١/٧٥.

(٥) الرسالة الخالدة عبدالرحمن عزام ص ١٢.

٢ - أن كثيراً من الأحكام الشرعية في القرآن الكريم جاءت مقترنة بالتقوى والإيمان، والتذكير بالجنة والتحذير من النار، في دلالة واضحة على أهمية العقيدة في حمل المسلمين على الالتزام بما أمر الله به، والتحذير مما نهى عنه، ومن ذلك:

أ - قوله تعالى بعد ذكره لأحكام الفرائض: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء، ١٣،١٤].

ب - وفي تحريم الربا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[البقرة، ٢٧٨].

ج - وفي سياق آيات الطلاق قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق، ٢].

د - وفي الحديث عن النساء المعتدّات من طلاق أزواجهن لهن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾[البقرة، ٢٢٨].

"فلا يحل للنساء أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهم، ويلمس قلوبهن بذكر الله، ويستجيش فيهن شعور الإيمان بالله واليوم الآخر، وذكر اليوم الآخر - هنا - له وزنه، فهناك الجزاء على كتم ما خلق الله في أرحامهن، فهو سبحانه الذي يعلم ذلك"(١).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٢٤٦.

فأي سلطان يمكن أن يراقب الناس في خلوتهم غير سلطان العقيدة؟! وما الذي يمكن أن يفرض على الناس الالتزام الطوعي بالسلوك القويم غير الطمع في الجنة والنجاة من النار؟!

وفي القرآن الكريم رصيد كبير من الآيات التي اقترنت فيها الأحكام الشرعية والتوجيهات الربانية بالإيمان بالله تعالى، ولزوم تقواه، ويمكن لخطيب الجمعة أن يستثمر هذا الرصيد في حمل الناس على الامتثال لما أمر الله سبحانه به، والابتعاد عما نهى عنه.

٣- سلطان العقيدة على النفوس أقوى من سلطان القانون:

لم تفلح العقوبة وحدها-في يوم من الأيام- في القضاء على الظلم والقتل والتدمير، وسائر أنواع الإفساد في الأرض، والواقع المعاصر خير شاهد على ذلك، فما أن ينتهي إرهاب في مكان، حتى نسمع عن إرهاب في مكان آخر، أشد فتكاً وتدميراً وإيلاماً.

ومن هنا قامت دعوة الإسلام على تأصيل الإيمان في النفس الإنسانية، لتجعل من الإنسان رقيباً على أعماله، بل على سكنات قلبه لأن الله الذي يؤمن به مطلع على خبايا النفوس، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر: ١٩]. ويقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة: ٧]

يقول الشيخ نديم الجسر: "إن انقياد الإنسان لمكارم الأخلاق إنما يكون بالقانون أو بوازع من القرآن، أو برادع من المجتمع، لأن هذه المكارم تمثل في الأصل التوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع الإنساني السوي، فإذا كان الإنسان بنجوة من سلطان القانون والمجتمع، لم يبق إلا وازع الله تعالى واليوم

الآخر، ففي معركة الإنسان مع الغرائز والشهوات، قلّ أن ينتصر الضمير إلا عند من يخشون الله سبحانه وتعالى"[١].

إن سلطان العقيدة على النفوس أقوى بكثير من سلطان القانون، الذي يعتمد على العقوبة، وبتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون، لأن العقيدة نابعة من داخل الإنسان، وممتزجة بضميره، ولا تفرض عليه فرضاً، فقد ارتضاها باختياره، بينما القانون مفروض عليه من خارجه، ولذا فإن تيسر له الإفلات منه، فإنه لا يتردد في ذلك، بل يعدُّ ذلك ذكاء ورجولة.

ولقد انتقل رسول الله ﷺ بالعرب من الكفر إلى الإيمان، فإذا بالعقيدة تضيء قلوبهم، وتسيطر على كل جانب من جوانب حياتهم، وتغلغل الإيمان في أحشائهم، وتسرب إلى جميع عروقهم ومشاعرهم، فانقلب الرجل منهم غير الرجل، وظهرت آثار هذا الإيمان في سلوكهم "**وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية، وتربية نفسية، تملي على صاحبها الفضائل الخلقية، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس، عن الزلات الخلقية والسقطات الخلقية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان، وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حين لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفسا لوامة عنيفة، ووخزاً لاذعاً للضمير، لا يرتاح معه صاحبه، حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً، تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة**"[٢].

كان الإيمان بالله حارساً لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته، يملك نفسه عن النزوع أمام المطامع والشهوات، وفي الخلوة والوحدة، حيث لا يراها أحد، وفي سلطانه ونفوذه، حيث لا يخاف أحداً إلا الله، ولم يكن الإيمان يسمح لأحد أن يستطيل على أحد أو يظلم أحداً، فالإيمان بالله هو "الرباط الذي يعقل النفوس

---

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والدين، ص ٤٤٠، نديم الجسر، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ١٠١-١٠٢.

عن الاعتداء بالقتل، وبغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ولا يفلح قانون، وهذا ما يفسر ندرة الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهد النبي ﷺ، وعهد الخلفاء، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجاني نفسه، طائعاً مختاراً.

لقد كانت التقوى، هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر، وفي حنايا القلوب، تكفها عن مواضع الحدود، إلى جانب الشريعة النيرة، البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلوب"[1]. يقول تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾. [يونس: ٦١]

وفي مقابل ذلك: فإن رقابة القانون مؤقتة ضعيفة، فهي لا تملك أن تراقب الإنسان كل الوقت، فإذا أفلت الإنسان منها هان عليه أن يفعل كل ما كان يحذر من قبل. ثم إن هذه الرقابة يمكن التحايل عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

يقول سيد قطب: "**إن الخوف ينبغي أن يكون من الله، فهذا هو الخوف اللائق بكرامة الإنسان، أما الخوف من السيف والسوط فهو منزلة هابطة، لا تحتاج إليها إلا النفوس الهابطة، والخوف من الله أولى وأكرم وأزكى.**

على أن تقوى الله هي التي تصاحب الضمير في السر والعلن، وهي التي تكف عن الشر، في الحالات التي لا يراها الناس، ولا تتناولها يد القانون، وما يمكن أن يقوم وحده – مع ضرورته – بدون التقوى، لأن ما يفلت من يد القانون حينئذ أضعاف أضعاف ما تناله، ولا صلاح لنفس، ولا صلاح لمجتمع يقوم على القانون وحده، بلا رقابة غيبية وراءه، وبلا سلطة إلهية يتقيها الضمير"[2].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/١٦٦، ط١٠، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢) المصدر السابق، ٢/٨٨١.

بعض الأمثلة على سلطان العقيدة على النفوس:

١ - **عن عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو يعس بالمدينة - إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا بامرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قال: وما كان من عزمته يا بنية؟ قال: إنه أمر منادياً فنادى: ألا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه، والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا، وعمر يسمع كل ذلك[١].**

فماذا كانت مكافأة عمر لهذا القلب اليقظ من البنت؟ لقد خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عاصم، فولدت بنتاً، وولدت البنت ابنة وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

٢ - **قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة، فسدت عليهم باب الغار، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فكان من بين الثلاثة رجل كانت له بنت عم، وكانت أحب الناس إليه، فراودها يوماً عن نفسها فأبت، فقيل له: لا تنال ذلك منها إلا بالمال، فألجأتها الحاجة يوماً إلى طلب المال من ابن عمها، فأعطاها مائة دينار، على أن تمكنه من نفسها، فوافقت مضطرة، حتى إذا قعد بين رجليها قالت له: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام وتركها، ولم يفعل شيئاً[٢].**

فما الذي منع هذا الرجل، في وقت استحكمت فيه الشهوة وغلبه الهوى أن يقدم على ارتكاب ما حرّم الله؟ إنه الخوف من الله! لقد استثارت فيه كوامن

---

(١) انظر القصة بتمامها: أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله عسيلان، ص ٤٨-٤٩، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) انظر القصة في: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٤٠٨/٤-٤٠٩.

الإيمان، فقام عنها، وقد لامست كلماتها شغاف قلبه: اتق الله! إنه ليس سلطان القانون وليس سلطان أحد من الناس، إنه سلطان العقيدة!

٣ - في عام ١٩١٩م منعت الحكومة الأمريكية الخمر، وطاردتها في بلادها واستعملت جميع الوسائل لبيان أضرارها، وأنفقت على ذلك ما يزيد عن ستين مليون دولار، وتحملت ما لا يقل عن مائتين وخمسين مليونا في مدة أربعة عشر عاما، وأعدم نحو ثلاثمائة شخص، وصادرت الحكومة الأمريكية ما يقارب أربعمائة مليونا، إلى غير ذلك من الإجراءات التي اتخذتها لردع الشعب الأمريكي عن تعاطي الخمر.

فماذا كانت النتيجة؟ كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر وعنادا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة الأمريكية سنة ١٩٣٣م إلى سحب هذا القانون، وإباحة الخمر في طول البلاد وعرضها إباحة مطلقة[١].

فكيف بالمقابل كان سلطان العقيدة على النفوس؟ لم يكن غرام العربي في جاهليته يقل عن غرام الأمريكي في العصر الحديث، فقد كان يهيم بها ويتغزل بها، ولكن ما إن سمع المسلمون الذين أشرب الإيمان قلوبهم بأمر تحريمها، حتى أراقوا ما في بيوتهم من خمر، حتى امتلأت بها طرق المدينة، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر(خمر)، إذ سمعت مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج، حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم، ثم خرجنا إلى المسجد[٢].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ٩١، ط٩، دار العلم، الكويت.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ٢/ ٩٤، ط، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

فلم تصادر قلال الخمر، ولم يرسل الرسول ﷺ الشرطة، ولم يعتقل أحداً، ولم تنفق الأموال لبيان أضرار الخمرة، كلا لم يحصل شيء من هذا، بل كان سلطان العقيدة في نفوسهم أقوى من كل سلطان ومن كل قانون.

٤ - تجيء (الغامدية) التي زنت في زمن الرسول ﷺ طائعة، ليقيم عليها الرسول الحد فتقول:

"يا رسول الله: إني زنيت فطهرني، فيردها عليه السلام، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ فوالله إني لحبلى. قال: فاذهبي حتى تلدي، قال: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة وقالت: هذا قد ولدته، قال: فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فنضح الدم على وجهه، فسبها، فسمع نبي الله سبّه إياها فقال: مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس[١] لغفر له، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت"[٢].

فمن الذي حمل امرأة وقعت في المعصية في لحظة من اللحظات أن تطلب أن يقام عليها الحد، وهي تعلم تبعات هذا الاعتراف من عقوبة وآلام نفسية - عندما يعرف الناس الخبر - لها ولأهلها؟ إنه الإيمان والخوف من الله.

وإذا غاب الإيمان عن الإنسان أو خبا في قلبه أقدم على ارتكاب ما حرّم الله، فقد غاب السلطان الذي يردعه، ولذا يقول الرسول ﷺ: "لا يزني الزاني

---

(١) صاحب المكس: الذي يأخذ من التجار إذا مرّوا عليه مكساً باسم العشر، وهي ضريبة تحصَّل من التجار أو من يدفعون الزكاة بغير حق، انظر: شرح السنة، للبغوي، ١٠/ ٦٠-٦١، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ٧٤٢، ط٢، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: حد الزنا، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٢٠٣.

حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"[1].

ويقول:"إذا زنى الرجل، خرج منه الإيمان، كان عليه كالظلّة، فإذا انقطع رجع إليه الإيمان"[2]. وأهل الإيمان هم أرحم الناس، حتى في اللحظات التي تغيب فيها الرحمة عن القلوب المتعطشة للبطش والإيذاء، وفي ذلك يقول ﷺ: "أعف الناس قتلة: أهل الإيمان"[3]. وقوله:"الإيمان قَيْدُ الفتك، لا يفتك مؤمن"[4].

وقد أثبتت الوقائع والحوادث - يوماً بعد يوم - أن هذه الرقابة لله واليوم الآخر، حين تضعف في حياة مجتمع من المجتمعات، فسرعان ما يعمّه الاضطراب، وأن المجتمع الذي لا يمسكه إلا قانون العقوبات ورجل الأمن، جدير بأن يسمى مجتمع الخوف، ومجتمع التخلف والانحطاط، لأن الجرائم سوف تزيد فيه ولا تنقص، ولأنه سوف ينتهي-عاجلاً أو آجلاً- إلى شريعة الغاب مرة أخرى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، المقدمة، حديث رقم ٥٥٧٨، انظر: فتح الباري، ١٠/ ٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصه ورقمه ٤٦٩٠، ط مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، وأورده البغوي في شرح السنة ١/ ٩٠ بلفظ: "إذا زنى أحدكم خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلّة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٢٢، بسند صحيح كما ذكر الحافظ ابن حجر من طريق سعيد المقبري أنه سمع أبا هريرة رفعه، انظر: فتح الباري، ١٢/ ٦١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة، ورقمه ٢٦٦٦، وأحمد في مسنده، ١/ ٣٩٣ ورقمه ٣٧٢٩، وابن ماجة في سننه، كتاب الديات ٣٠.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في العدو يؤتى على غرة، ورقمه ٢٧٦٩، وأورده البغوي في شرح السنة، ١١/ ٤٥، قال محققه: حديث حسن، أخرجه أبو داود، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السدي، وهو مجهول الحال، لكن هناك ما يشهد له، فقد أخرجه أحمد عن الحسن عن الزبير بن العوام، وفيه عنعنة الحسن، وباقي رجاله ثقات، انظر: المسند، ١/ ١٦٦، ورقمه ١٤٢٦، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الرياض، ص ١٥٣.

وفحوى ذلك أن العقيدة تعني في النهاية: السلام والعدل والأمن، الأمن على الدماء والأموال والأعراض، وهذه الأمور هي جوهر إنسانية الإنسان"[١].

٤ – العقيدة هي القادرة على معالجة الأمراض الاجتماعية وغيرها في واقعنا المعاصر:

تشهد مجتمعاتنا المعاصرة أمراضاً اجتماعية خطيرة، كالغيبة والنميمة، والسب والشتم، والزنا والربا، والفساد الإداري، والرشوة وهضم حقوق الآخرين، واستطالة الناس بعضهم على بعض، إلى غير ذلك من الأمراض الاجتماعية التي تنخر في كياننا على كل المستويات.

هذه الأمراض لا يمكن معالجتها إلا من خلال تعميق الإيمان في النفوس، لأن العقوبة – كما تقدم – لم تفلح وحدها في القضاء على الجريمة والفساد بكافة أشكاله، يوضح ذلك ما ذكرته أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– إذ تقول:"أول ما نزل منه (أي القرآن): سورة من المفصّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً".[٢]

لقد كان العرب قبل الإسلام في فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والسياسة والاجتماع، لا يخضعون لسلطان، ولا يقرون بنظام، يقاتل بعضهم بعضاً، فأصبحوا في حظيرة الإيمان شيئاً جديداً، انتفت الفوارق بينهم، فلا تفاضل إلا على أساس الإيمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]. كان بعضهم يقاتل بعضاً لأتفه الأسباب، فأصبحوا في ظل الإيمان لا يقيمون حرباً إلا من أجل دين الله تعالى، تفيض قلوبهم بالرحمة، فلا يظلم أحد أحداً، ولا يبغي أحد على أحد.

---

(١) المرجع في تدريس علوم الشريعة، ص ٤٢٥، بحث بعنوان "تدريس العقيدة، عدنان زرزور.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، انظر: فتح الباري، ٩/ ٣٩.

ومن ثم فإنه لا سبيل إلى معالجة أدوائنا إلا بربط القلوب بالله تعالى، لأنها هي الكفيلة بردع النفوس المريضة عندما تهم بارتكاب معصية أو ظلم الناس والاستطالة عليهم بالقول والفعل.

ومنهج العقيدة الإسلامية في معالجة الانحرافات في حياة المجتمع إنما يقوم على:

١ - إصلاح الفرد، من خلال تعميق الإيمان في نفسه، لأنه عندئذ يكون خاضعاً لله في كل شأن من شؤون الحياة، فيكون محباً للناس، عاملاً للخير، بعيداً عن الأذى، متمثلاً قول الرسول ﷺ:"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[١]، وقوله:"المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"[٢].

٢ - إصلاح الأسرة المسلمة، وإقامة نظامها على حب تسكن إليه النفس، وسلم لا تشوبه محن ولا نزاع، وتوازن بين الحقوق والواجبات، فلا يجور كبير، ولا يتمرد صغير، ولا يستبد رجل، ولا تمتهن امرأة، ولا يهمل أب، ولا يعق ولد[٣].

٣ - إرساء العلاقة بين أفراد المجتمع على أساس من الحب والتعاون والأمن والسلام، وأن يتمثل المؤمنون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٤].

وكذلك الدعوة إلى الصفح والتسامح في حقوق الأفراد، ومعاملة المسيء بالإحسان، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، التي تشيع المحبة بين الناس، وتقضي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، انظر: فتح الباري، ١/٥٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/١٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث فضالة بن عبيد، ورقمه ٢٤٤٦٧، حديث حسن، من حديث الليث عن أبي هانيء عن عمرو بن مالك الجنبي، انظر: شرح السنة للبغوي، ١/٢٩.

(٣) نظام السلم والحرب في الإسلام، مصطفى السباعي، ص ٢٣-٢٤، ط دار الوراق، الرياض، السعودية.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن السباب، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٤٠.

على بواعث الشر من القلوب ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

والعلاقة بين أفراد المجتمع المسلم تقوم أيضاً على تحريم كل ما يؤدي إلى إيغار الصدور وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، كالغيبة والنميمة والتجسس والاستهزاء والظن السيء، وغير ذلك من نميم الأخلاق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾. [الحجرات: ١١،١٢]

وهكذا تختم الآيات باستثارة كوامن الإيمان في نفس المسلم (واتقوا الله) فالتقوى هي التي تلجم الألسنة أن تلغ في أعراض الآخرين، أو توقع العداوة بين المتحابين، ومهما فرض الناس من عقوبات، فإنها لا يمكن أن تفلح في كبح جماح النفوس المريضة من الإساءة للآخرين.

والقيام بالواجبات والآداب الاجتماعية نحو كل مسلم ومسلمة هو مقتضى العقيدة الإسلامية ولازمها، ولا يتصور في الحقيقة إنسان مسلم، متزن الفهم، معتدل الخلق، يحمل في نفسه الحقد والغل والحسد لأخيه في العقيدة، حتى إن كان هذا الأخ مقصراً أو مذنباً، وهذا هو منطوق ومفهوم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[١] [الحجرات، ١٠].

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٢١-٢٢، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦.

وهكذا تختم الآية في الدعوة إلى الاصلاح الاجتماعي بالدعوة إلى تقوى الله تعالى، فهي الكفيلة بتحقيق ذلك، في دلالة واضحة على أهمية العقيدة في معالجة الانحرافات الاجتماعية في المجتمع المسلم.

٥ - العقيدة هي القادرة على إشاعة كل معاني الخير بين الناس ودفعهم إلى كل عمل بنّاء:

إذا كانت الحكومات والمؤسسات المختلفة تضع الحوافز لتشجيع الأفراد على العمل والحفاظ على الأموال والالتزام بأخلاق المهنة، فإن ذلك لا يمكن أن يرقى إلى قدرة العقيدة الإسلامية في تفجير الطاقات وإجادة العمل وحفز الأفراد على بذل كل طاقاتهم، والالتزام بكل خلق كريم داخل المجتمع، فلقد كانت هذه العقيدة على الدوام هي القوة الفاعلة والمؤثرة في كل منحى من مناحي الحياة، وكانت هي الحارسة لأمانة الإنسان حتى وهو في الخلوة، بعيداً عن رقابة الناس وسلطان القانون، وما ذاك إلا لشعور المؤمن أن هناك رقابة وسلطة أعلى وأقوى من سلطة ورقابة القانون ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

وإذا أردنا أن نستقصي آثار هذه العقيدة على الأفراد والجماعات فلربما نعجز عن هذا، ويضيق بنا المقام في محاولة الاستقصاء هذه، وإنما يحسن بنا أن نشير إلى شيء من هذه الآثار:

أولاً: مجتمع العقيدة قائم على الحب والتكافل والتناصح بين أفراده:

من ثمار العقيدة أنها تقيم العلاقة بين أفراد المجتمع على أساس الحب والأخوة الإيمانية﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، فلا تباغض أو تحاسد أو تدابر أو قطيعة بين أبناء المجتمع الإيماني، ويعزز هذا قول الرسول ﷺ موجهاً: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد، انظر: فتح الباري، ١٠/ ٤٨١، ومسلم في كتاب البر، باب: تحريم التحاسد، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/ ١١٥.

وللمسلم على المسلم في هذا المجتمع حقوق اجتماعية، تؤكد معنى الإخاء، وتنمي أواصر الحب بين أبناء الأمة، يوضح ذلك قوله ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"(١).

وهو مجتمع طاهر نظيف، لا يعرف الفساد طريقاً إليه، يتناصح أفراده، ويتعاونون على البر والتقوى، ممتثلين قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٢).

ثانياً: مجتمع العقيدة يأمن الناس فيه على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم:

وذلك لأنهم يخافون الله تعالى، ويعلمون أنه مطلع على خفايا النفوس ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: ١٩]، ومستذكرين قوله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام: عرضه وماله ودمه"(٣).

وإذا كان الإسلام قد حرَّم قتل الإنسان أو الاعتداء عليه، فقد حرَّم – أيضاً – الانتقاص من كرامته، لأنه مخلوق كرّمه الله تعالى وفضّله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾. [الإسراء: ٧٠]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، انظر: فتح الباري، ٣/ ١١٢، ومسلم في كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤/١٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب البر، باب: ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، وقال عنه: حديث حسن غريب، ورقمه ١٩٩٢، انظر: الجامع الصحيح، ٣/٢١٨ وأحمد في مسنده، ٢/٢٧٧.

ويتضمن الحفاظ على الكرامة الإنسانية:

١ - تحريم السبّ واللعن، لأنه انتقاص من كرامة المسلم "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[١]. وقوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره"[٢].

٢ - تحريم السخرية والاستهزاء، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾. [الحجرات: ١١]

٣ - تحريم الغيبة، لأن في ذلك إيذاء للمسلم وانتقاص من كرامته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحجرات: ١٢]، وفي الحديث: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره[٣].

٤ - تحريم التجسس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾[الأحزاب: ٥٨]، وفي الحديث: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا"[٤].

٥ - تحريم القذف، باتهامه بالزنا، وشرع عقوبة بليغة في حق القاذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، انظر: فتح الباري، ١/١١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تحريم الغيبة، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٤٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١١٨.

شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤] إلى غير ذلك مما حرمه الإسلام.

ثالثاً: مجتمع العقيدة يندفع أفراده للعمل البنّاء

لم يعرف التاريخ أمة عاملة كالأمة الإسلامية، ذلك لأن الإيمان فجر الطاقات ودعا إلى العمل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وكان عليه الصلاة والسلام إمام العاملين، فقد حث على الأخذ بأسباب القوة، وامتدح الأقوياء فقال: "المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"(١).

وكان من ثمار هذه العقيدة: أن انطلق المسلمون يفتحون الأرض شرقاً وغرباً، وينشرون العلم النافع، ويؤسسون الحياة على الإيمان بالله، ويشيعون العدل والمساواة والرحمة، وغير ذلك من المبادىء السامية التي جاء الإسلام لإرسائها في الحياة.

رابعاً: إن العقيدة الإسلامية هي الباعث لكل خلق كريم وعمل قويم، ورأي سديد، ونية حسنة، والإسلام الذي يرتكز على هذه العقيدة هو دين الوفاء بالعقود والعهود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] ويقول سبحانه:﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾. [النحل: ٩١]

وهو دين المودة والألفة، فهو الذي ألّف بين القلوب المتنافرة، والقبائل المتناحرة، التي جعل منها خير أمة أخرجت للناس﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. [آل عمران: ١١٠]

ومن ثمار هذه العقيدة في النفوس: الصدق والأمانة والعدل وتجنب الزور

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: الإيمان للقدر والاذعان له. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/٢١٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة: ١١٩]، والمسلمون هم شهداء على الناس، بصدقهم وإخلاصهم وتبليغهم أمانة الرسالة الإلهية.

ومن غرس العقيدة في النفوس: العزة والمحبة، والإخاء والرحمة، والعدل والصدق والأمانة، والحلم والصفح، والجود والكرم، والصبر، والقصد والعفاف، والنظافة، والحياء، إلى غير ذلك من الأخلاق التي كانت ثمرة لهذه العقيدة، وواقعاً عاشه أصحابها، وكان الباعث عليها دائما هو الإيمان بالله تعالى، لا رياء ونفاقاً ولا طلباً لمصالح الدنيا.

٥- العقيدة أساس الشخصية الإسلامية، وقاعدتها في الحركة والسلوك والحياة اليومية، لدى الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي، فكل العبادات والمعاملات والأخلاق، والاقتصاد والأدب والفن، وسوى ذلك من الأبواب المتصلة بحياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم، يجب أن تكون العقيدة هي الموجهة لها، حتى لا تنحرف عن غايتها ووظيفتها.

"إن أهم طاقة أودعها الله تعالى في فطرة الإنسان هي طاقة الإيمان، ومن هذه الطاقة تتفرع سائر الطاقات التي أودعها الله فيه، ومن شأن هذه الطاقة الإيمانية أن ترعى هذه الطاقات وتوجهها الوجهة الصحيحة، وإذا اختل التصور الإيماني في الإنسان، انحرفت كل طاقة عن مسارها الصحيح.

فعلى سبيل المثال: لو اختل الإيمان في الإنسان، فإن الشهوة الجنسية تنمو تبعاً لذلك، وتنحرف عن غايتها، فيقع عندئذ الزنا بدل الزواج، وإذا اختل التصور الإيماني، اختل معه حب الأرض والديار، عندئذ ينحرف هذا الحب عن هدفه وغايته، فيتحول إلى عصبية جاهلية وفساد في الأرض. وهكذا تضطرب سائر الرغبات والشهوات والعواطف والقدرات عند الإنسان، حين يضطرب الإيمان، وتنحرف عن نهجها وغايتها، وتصبح فساداً في الأرض، وفتنة في حياة الناس، وشراً كبيراً"(١).

---

(١) تقويم نظرية الحداثة، عدنان علي رضا النحوي، ص ٦٢-٦٣ بتصرف، ط١، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

والإيمان الذي نعنيه – هنا – القادر على إحداث التغيير في سلوك الأفراد والجماعات، والذي يعالج الاختلالات في حياة الأمم والشعوب "ليس مجرد إعلان المرء أنه مؤمن، وليس مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعتاد أن يقوم بها، كحال كثير من المسلمين اليوم، إنه عمل نفسي، يبلغ أغوار النفس، ويحيط بجوانبها كلها: من إدراك وإرادة ووجدان وعمل"[(١)].

"إن العقيدة التي دعا إليها الرسول ﷺ، ومكّنها في نفوس أصحابه وأتباعه هي بذاتها الدعامة الكبرى للاصلاح الاجتماعي، فقد نشأ عنها وترتب عليها حياة روحية خلقية فاضلة، لها المقام الأول في نفس المسلم.

وفي المجتمع الإسلامي الذي تسوده العقيدة الصحيحة لا يمكن أن تسيطر المادة على الأفكار والأعمال والأخلاق والتصرفات البشرية، سيطرة تشبه في قليل أو كثير ما يعانيه العالم اليوم من سيطرة المادة".[(٢)]

وإن بقاء العقيدة حية فاعلة مؤثرة، أو على أقل تقدير سليمة من التحريف والتأويل، من شأنه أن يستنهض المسلم في الوقت الحاضر – وفي كل وقت – للعودة بقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن وغيرها إلى الركيزة الأساسية التي يجب أن ترتكز عليها، في وقت جرى فصل هذه الأمور وغيرها عن أساسها العقدي، فيما يعرف بـ"العلمانية" التي سيطرت على جميع دول العالم بما فيه عالمنا الإسلامي.

"ولا شك أن جعل العقيدة هي المرتكز، من شأنه أن ينهض بالمسلم في يوم من الأيام إلى استكمال نمط حياته وفقاً لشريعة الإسلام، بوصف هذا النمط من مستلزمات هذه العقيدة وتوابعها، ومن شروط استكمال عناصر الإيمان والاعتقاد، مثل: الخروج من دائرة الربا في الاقتصاد، وعودة المرأة إلى الحجاب في باب الاجتماع، واستئناف الحكم على منهاج النبوة في باب السياسة وهكذا".[(٣)]

---

(١) مجلة البيان، العدد ٢١٠، ص ٢٠ بتصرف، من مقال بعنوان: المسلم والآثار النفسية للإيمان، عز الدين مفلح، السنة العشرون، صفر ١٤٢٦هـ-أبريل ٢٠٠٥، الرياض.

(٢) الرسالة الخالدة عبدالرحمن عزام ص ٤٩ – ٥٠.

(٣) المرجع في تدريس علوم الشريعة، بحث للدكتور عدنان زرزور، ص ٤٢٢.

العقيدة وواقع الأمة الإسلامية:

إن نظرة في واقع الأمة الإسلامية اليوم، يكشف لنا عن خلل واضح في التصور الإيماني، وفي مسائل التوحيد المختلفة: خلل في توحيد الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات والقدر، وفي عقيدة الولاء والبراء، وما يتعلق بمسائل العقيدة المختلفة.

ويمكننا القول: "إن أسباب هذا الخلل في التصور الإيماني كثيرة وعميقة، ومن أهمها: الجهل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وغلبة الهوى والشهوات، وضعف عوامل الإعداد والبناء، والغزو الطاغي من الغرب والشرق: عسكرياً وفكرياً وعلمياً، غزو يحمل معه فتنة الدنيا وزينتها، من خمر ولهو وطغيان جنسي وظلم، مع زهوة التقدم الفني وكبره وغروره".(١)

ولم تنل قضايا الإيمان والتوحيد ما تستحقه من جهد ونهج ودعوة، حتى أصبح كثير من المسلمين في غفلة وتشاغل عنها، بل عدم اكتراث، مما تسبب في زيادة الخلل والانحراف في الاعتقاد والسلوك، بل في جوانب الحياة كلها، وصار للعادات المخالفة للإسلام سلطان أقوى من سلطان الدين، حتى أصبحنا نرى التناقض العجيب والتضارب المؤلم في سلوك بعض المصلين والصائمين والحاجّين.(٢)

ومن هنا كان لا بد أن يركز من خلال المناهج الدراسية والإعلام على تأصيل العقيدة في النفوس، ولا شك أن خطبة الجمعة من الوسائل التي يناط بها دور كبير في هذا المجال، لأنها قادرة على تعميق العقيدة في النفوس، وتصحيح الانحرافات الفكرية، وإيجاد الحصانة عند المسلمين ضد الغزو الخارجي، وهي قبل كل ذلك طاقة هائلة، تبعث الحيوية في النفوس، وتحفز على العمل المثمر.

---

(١) نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، د. عدنان علي رضا النحوي، ص ٥٥-٥٦، ط٥، دار النحوي، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، عدنان النحوي، ص ٥٦.

المبحث الثاني
أهمية خطبة الجمعة كوسيلة دعوية

خطبة الجمعة من أهم الوسائل لتبليغ دعوة الله تعالى، وهي وإن كانت موجهة لجمهور المؤمنين بالله تعالى، باعتبار أن خطبة الجمعة تكون في المسجد، ولا يحضر إلى المسجد إلا من يؤمن بدين الإسلام، إلا أنها في نفس الوقت تصلح أن تكون موجهة لغير المسلمين أيضاً، إذا حرصنا أن تنقل الخطبة من خلال مكبرات الصوت في المساجد، مما يمكن غير المسلمين، أو من لم يصلّ من المسلمين في المساجد، كالنساء والعجزة، أو بعض المسلمين الذين لا يصلون إطلاقاً، أو قد تنقل الخطبة على الهواء مباشرة، عبر المذياع، أو من خلال التلفاز، مما يجعل خطبة الجمعة تغطي مناطق أكبر من محيط المسجد، سواء في القرية أو المدينة، أو على مستوى العالم، وخاصة بعد انتشار الفضائيات في الوقت الحاضر.

وتظهر مزايا خطبة الجمعة في الآتي:

١ - أن جمهور المستمعين لها هم من مستويات ثقافية واجتماعية متفاوتة، فمنهم العالم، ومتوسط العلم، والأمي، ومنهم السياسي والمدرس والمهني، ومنهم الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والغني والفقير، إلى غير ذلك من التقسيمات لجمهور الخطبة في المسجد.

٢ - لا تحتاج إلى جهد كبير أو زمن كثير: إذ يذهب المصلون إلى المسجد، وهم يشعرون أنهم غير مكلفين بالقيام بجهد تجاه الآخرين، كما عليه خطيب الجمعة، ثم إن الخطبة لا تحتاج إلى وقت كثير، إذا التزم الخطيب بهدي الرسول ﷺ في الخطبة، إذ يقول: "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه"[(١)].

---

(١) مئنّة: أي علامة، قال أبو عبيد: يعني أن هذا مما يعرف به فقه الرجل، ويستدل به عليه. انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد بن القاسم الهروي، ٦١/٤، ط١، حيدر أباد، الهند، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٣/٤، ومسلم في كتاب الجمعة، باب: صلاة الجمعة وخطبتها، وزاد في آخره: "فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٥٨/٦.

٣ – أنها تشكل رأياً عاماً فاعلاً: شريطة أن يكون الخطيب مؤهلاً، ذلك لأن خطبة الجمعة تواكب الأحداث، وتتواصل مع المؤمنين في كل أسبوع، وتأخذ من اهتمامهم، باعتبارها فرض عين على كل مسلم.

٤ – تشكل الخطبة عاملاً هاماً في تصحيح الأخطاء التي تقع داخل المجتمع المسلم، وتقوّم السلوك، وتوجه الرأي العام للتفاعل مع قضايا الأمة، وهي تسهم إسهاماً كبيراً في "تدعيم البناء الاجتماعي للمسلمين وترابطه وتماسكه، فهي تجسد الوحدة الفكرية في أرفع أبعادها، والوحدة الشعورية في أعمق معانيها، والوحدة السلوكية في أروع مظاهرها، والوحدة السياسية في أبرز أهدافها".[(١)]

٥ – أنها "تمثل إحدى وسائل التربية الإسلامية الجماعية، التي تربّي المسلمين على تعاليم الدين الحنيف، وتبين لهم حكم الإسلام في قضاياهم: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، التي تتجدّد باستمرار، كما أنها تمثّل الرقي: الروحي والفكري والسلوكي والاجتماعي لدى المسلمين".[(٢)]

ولا تقتصر خطبة الجمعة في تأثيرها على العامة –كما قد يفهم بعض الناس– إنما يمتد تأثيرها لكل أفراد المجتمع، بمن فيهم العلماء والمفكرون، فهم أحوج ما يكونون إلى الموعظة الدينية، من خلال خطبة الجمعة وغيرها من المناسبات "فهي تهذيب للنفس، وترويض لكبريائها وشططها، كما أن فيها استثارة للغيرة في قلب الداعية، تدفعه إلى علو الهمة، وصدق العزيمة، وتدفع عنه غبار الفتور والعجز، وتستنهضه لبذل قصارى الجهد في تبليغ الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها تثبيت لأهل العلم والدعوة أمام

---

(١) معايير بناء الخطبة وفنياتها، صالح ذياب هندي، ص ٤٦، بحث مقدم ضمن فعاليات الأوراق العلمية الخاصة بورشات العمل التي يشارك فيها جميع خطباء مساجد المملكة، وزارة الأوقاف، عمان، الأردن، ١٤٢١-٢٠٠٠.

(٢) المرجع في تدريس علوم الشريعة، عبد الرحمن صالح عبدالله وزملاؤه، فصل: الآثار التربوية لخطبة الجمعة، محمد عبد الكريم العياصرة، ٢/٣٠٢، ط١، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

مكائد الأعداء، وأحابيل المفسدين، وظلم الملأ المستكبرين، وفيها أيضاً إحياء للقلب المعرض الذي أسره، وسيطر عليه التقليد والتبعية".(١)

والمتأمل في سيرة المصطفى ﷺ يجد أن خطبه في المدينة كانت تربية لعموم المسلمين من أهل المدينة وما حولها، فهي خطاب عام مطلق يهدف إلى تصحيح الخطأ، وإبلاغ المفهوم الصحيح إلى عموم الناس، لتصحيح السلوك الاجتماعي العام، من ذلك على سبيل المثال ما ورد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت:

جاءت بريرة وقالت: إني كاتبت أهلي على تسع أواق، في كل عام أوقية، فأعينيني، فقالت عائشة: إن أحب أهلك أن أعدّها لهم عدّة واحدة واعتقك، فعلت، فيكون ولاؤك لي. فذهبت إلى أهلها، فأبوا ذلك عليها، فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم، فأبوا، إلا أن يكون الولاء لهم...، فسمع بذلك رسول الله ﷺ، فسألني، فأخبرته فقال: "خذيها فأعتقيها، واشترطي لهم، فإن الولاء لمن أعتق.

قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فما بال رجال منكم، يشترطون شروطاً، ليست في كتاب الله؟ فأيما شرط كان ليس في كتاب الله، فهو باطل، وإن كان مائة شرط، فقضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، ما بال رجال منكم، يقول أحدهم: أعتق يا فلان، ولي الولاء، وإنما الولاء لمن أعتق".(٢)

فواضح من النص أن الرسول ﷺ، مارس التربية العامة، ووجه الرأي العام، بإطلاق الخطاب، وعدم تقييده، ومعالجة السلوك الخاطىء، بأسلوب الخطبة، وهكذا كانت الخطبة في زمنه توجّه الرأي العام وتقوم السلوك الاجتماعي الخاطىء".(٣)

---

(١) مجلة البيان، العدد ١٩٣، ص ٥، شوال ١٤٢٤هـ، ديسمبر ٢٠٠٣م، من مقال بعنوان: حاجتنا إلى الوعظ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الولاء. انظر: فتح الباري، ٥/٣٢٦.

(٣) التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، فريد الأنصاري، ١/٩٣-٩٤، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ٤٧، السنة الخامسة عشرة ١٤١٦هـ، ط١، ١٩٩٥.

٦ - أن المسلمين ملزمون شرعاً بالسكوت أثناء إلقاء الخطبة، والاستماع إلى الخطيب، مما يمكّن الخطيب من إيصال ما يريد إلى جمهوره، بعيداً عن الصخب والضوضاء، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ:" إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت-والإمام يخطب-فقد لغوت"[١].

٧ - أن الخطيب يتحدث بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، مما يعطي كلام الخطيب أهميته في نفوس المصلين، ويضاعف من مسؤوليتهم في الاستماع والتدبر والانتفاع.[٢]

تحليل لبعض خطب الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن المتأمل في خطب الرسول ﷺ يجد أن موضوع العقيدة هو الأساس فيها، وأهم شيء أكد عليه الرسول في تلك الخطب.

فإذا نظرنا في أوائل خطبه عليه الصلاة والسلام بعد هجرته إلى المدينة وبعد أن بنى المسجد، قام في المسلمين خطيباً ثم قال:

"الحمد لله، أحمده واستعينه واستغفره واستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة،وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ، أن يحضه على الآخرة، وأن يأمر بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى، وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة، وعوْن صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الانصات يوم الجمعة، انظر: فتح الباري، ٢/ ٤١٤، وجاء في رواية أحمد: ومن قال: صه، فقد تكلم، ومن تكلم فلا جمعه له، انظر: المسند، ص ٩٩، ورقم الحديث ٧١٩.

(٢) انظر: مجلة "البيان" العدد ٢٠٣، ص ٤٥، ١٤٢٥-٢٠٠٤م ندوة بعنوان: دور الخطباء في الارتقاء بخطبة الجمعة.

وبين الله من أمر السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ﴾، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾، والذي صدق قوله، وأنجز وعده، ولا خلف لذلك، فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ **﴿ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾**، وإن تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه **﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين﴾**، **﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بينة﴾** وبين للناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، يملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[(١)]

وقال ابن هشام "إن أول خطبة خطبها الرسول ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبدالرحمن – نعوذ بالله أن نقول عن رسول الله ﷺ ما لم يقل – أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمنّ والله لَيُصْعَقَنَّ أحدُكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: "ألم يأتك رسول فبلّغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير

---

(١) أوردها ابن كثير عن ابن جرير عن سعيد بن عبدالرحمن الجمحي، وقال: هكذا أوردها ابن جرير، وفي السند إرسال. البداية والنهاية ٣/ ٢١٣، ط١، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[1]

من خلال النظر في هاتين الخطبتين نلاحظ التأكيد الواضح من قبله عليه الصلاة والسلام على قضايا الإيمان:

ففي الخطبة الأولى نجد التأكيد على الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهما أساس الإسلام.

فلا قيمة لأي عمل ما لم يرتكز على الإيمان بالله تعالى، واستحقاقه سبحانه للعبادة دون سواه، كما لا يقبل العمل إذا لم يقر صاحبه بأن محمداً ﷺ هو رسول من الله تعالى، أرسله للبشرية جمعاء، وخاتماً للرسل السابقين.

ومن شأن تأكيد الرسول عليه الصلاة والسلام على الشهادتين: أن يلقي حقيقة في نفوس الناس جميعاً، أن كل عمل لا يرتكز عليهما لا قيمة له في ميزان الله تعالى، مهما كان هذا العمل كبيراً في نظر الناس.

ويأتي التذكير بعد ذلك بالساعة والموت "ودنو من الساعة، وقرب من الأجل"، والتذكير بهما من شأنه أن يحفز النفوس على طاعة الله، ويلجمها عن المعصية.

وليس هناك أعظم حافز يحمل الإنسان على الالتزام بما أمر الله تعالى، والابتعاد عما حرم، من تذكيره بالساعة وبالأجل، فقد يأتيان بغتة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾[الأنعام، ٣١]، وقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل، ٧٧]، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾[الأعراف، ٣٤].

---

(١) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، ط عبد السلام بن شقرون، القاهرة، ٢/١٠٥. وقارن بـ: البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٢١٣-٢١٤ عن البيهقي قال ابن كثير: هذه الطريق أيضاً مرسلة، إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

وأي خطبة من خطب الجمعة لا تشتمل على تذكير الإنسان بذلك تفقد فاعليتها وتأثيرها في النفوس، ومن هنا فقد كانت خطب الرسولﷺ متضمنة الحديث عن الساعة والأجل، مما يحفز الناس أن يأخذوا حذرهم قبل فوات الآوان.

ثم الوصية بالتقوى "وأوصيكم بتقوى الله"، واعتبارها خير وصية وأفضل نصيحة وذكرى. والتحذير من عذاب الله "ويحذركم الله نفسه".

والدعوة إلى تقوى الله تعالى في العاجل والآجل، في السر والعلن، قارناً ذلك بتكفير السيئات، ومضاعفة الحسنات واعتبار التقوى هي الفوز العظيم، وأنها تدفع غضب الله وعقوبته وسخطه، وأنها تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجات.

وتذكير الرسول ﷺ في خطبه بتكفير السيئات، ومضاعفة الحسنات، هو التفات واضح إلى أهمية الترغيب والترهيب في خطب الجمعة، فمن لم يحفزه الترغيب على طاعة الله، حمله الترهيب على ذلك، وأي خطبة تخلو منهما تبدو قاصرة عن تحقيق أهدافها في تحقيق العبودية لله تعالى في كل مناحي الحياة.

وهكذا نلاحظ قضايا الإيمان بارزة في خطبة الرسول ﷺ: الشهادتان، الساعة، الموت، التقوى، العذاب، والربط بين هذه المصطلحات والسلوك المتمثل في مراقبة الله في السر والعلن، وهي دعوة إلى تقويم سلوك الفرد والجماعة، ليكون هذا السلوك سوياً ومنسجماً مع ما جاء به القرآن والسنة.

وأما الخطبة الثانية – فهي على وجازتها – موعظة بليغة ترتجف لها القلوب، ونشهد التلويح بعذاب الله واضحاً في ثناياها "تعلمن والله ليصعقن أحدكم... فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم" فأي رادع أكبر من التذكير بالعذاب الأليم في الآخرة لمن فرط في جنب الله؟

ولقد كان رسول الله ﷺ يأخذ أصحابه بالموعظة البليغة في كل وقت، تجد فيه طريقاً إلى قلوبهم، في خطب الجمعة وغيرها من المناسبات، فمن ذلك:

١ - ما رواه العرباض بن سارية -رضي الله عنه-:"وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟[(١)]، وواضح أن الموعظة التي وجهها الرسول ﷺ لأصحابه، كانت بتذكيرهم بالله تعالى، وتخويفهم من النار، لأن العيون لا تذرف الدموع، ولا تنخلع القلوب إلا من أهوال يوم القيامة.

٢ - وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهنّ وذكّرهن، فقال: تصدّقن، فإن أكثركن حطب جهنم..."[(٢)].

٣ - ما ورد من خطبته ﷺ في صلاة الكسوف، فقد جاء فيها: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله وكبّروا، وصلّوا، وتصدّقوا يا أمة محمد، والله ما أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً".

وقال: "لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة، حين رأيتموني أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت.

وفي لفظ: ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظراً - قط - أفظع منها، ورأيت أكثر أهل النار النساء. فقالوا: وبم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: أيكفرن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤/١٢٧، ورقمه ١٧٢٧٢، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، ورقمه ٤٤٤٣، انظر: مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، ٧/١١، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ورقمه ٢٨١٦، وقال عنه: حديث حسن صحيح، انظر: الجامع الصحيح، ٤/١٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦/١٧٥.

بالله؟ قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط).

ومن خطبته عليه الصلاة والسلام أيضا: ولقد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور مثل، أو قريباً من فتنة الدجّال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، أو قال: الموقن، فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبيّنات والهدى، فأجبنا وآمنّا، واتّبعنا، فيقال له: نم صالحاً، فقد علمنا إنْ كنت لمؤمناً، وأما المنافق، أو قال: المرتاب، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلته ".(١)

هذه الخطبة التي تذكّر الناس بأهوال يوم القيامة: "والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" وقوله: "ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً" وفي لفظ "ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظراً - قط - أفظع منها".

وفي المقابل، يتحدث الرسول ﷺ في خطبته عن الجنة، وما أعده الله للمؤمنين الطائعين، كقوله:"لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة".

"إن مواعظ الرسول ﷺ وخطبه فيها إحياء للقلوب، وكبح لجماح النفوس، وبعدها عن ربها، وغفلتها عن ذكره، وقد استطاع عليه الصلاة والسلام بمواعظه أن يطهر نفوس أصحابه من حظوظ النفس وأهوائها، ويليّن قلوبهم، ويجعلها تتعلّق بالآخرة".(٢)

ومن تتبّع خطب الرسول ﷺ ومواعظه يجد قضايا الإيمان هي الركائز

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/ ٤٥٠-٤٥١، وخطبة الكسوف أوردها البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم "يخوّف الله عباده بالكسوف" ورقمه ١٠٤٨، وباب: صلاة الكسوف جماعة، ورقمه ١٠٥٢، وباب: صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، ورقمه ١٠٥٣، وأخرج خطبة الكسوف الإمام مالك في الموطأ، باب: العمل في صلاة الكسوف، انظر: الموطأ، ١/ ١٤٩-١٥١.

(٢) انظر: مجلة البيان، العدد ١٩٤، ص ٤، مقال بعنوان: حاجتنا إلى الوعظ.

الأساسية فيها، ويجد أن دعوة الرسول إلى طاعة الله فيما أمر به أو نهى عنه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسائل الإيمان، وعلى رأس ذلك الترغيب بالجنة والترهيب من النار.

فما الذي يملكه أي خطيب للجمعة، وهو يسعى إلى تقويم الانحرافات في حياة الأفراد والجماعات سوى استثارة كوامن الإيمان في النفس البشرية؟ وإن أي دعوة للناس للالتزام بالسلوك القويم والبعد عن السلوك الذميم، لا ترتبط بالركائز الإيمانية، هي دعوة ميتة، لا تلقى صدى في نفوس المخاطبين ولا تثمر التزماً في واقع الحياة.

المبحث الثالث
أثر خطبة الجمعة في ترسيخ العقيدة

إذا كانت العقيدة هي الأساس في دعوات الرسل عليهم السلام وهي الأساس الذي ترتكز عليه سائر الأعمال، وهي أيضاً القوة الفاعلة والمحركة للنفوس، فإن هذه الأمور وغيرها تجعل مهمة خطبة الجمعة كبيرة، إذ من خلالها تصحح المفاهيم المخالفة للإسلام، ويندفع المؤمنون في المجتمعات الإسلامية بقوة للعمل الصالح، كما يمكن معالجة الاختلالات الاجتماعية والانحرافات الخلقية، وغير ذلك من الأمور التي تكون العقيدة فيها هي الآمرة والناهية، والمصححة والمقومة، وهي الميزان الذي يضبط سلوك المجتمع كله.

من هنا تبرز أهمية خطبة الجمعة في ترسيخ العقيدة، يحسن بنا عرضها في النقاط التالية:

أولاً: على الخطيب أن يبين للمسلمين أن أهم شيء في حياة كل إنسان هو الإيمان والتوحيد، فإذا صح الإيمان صحّ العمل، وإذا فسد الإيمان فسد العمل، ومن هنا كانت خطب النبي ﷺ -كما يذكر ابن قيم الجوزية- تقريراً لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعدّ الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعدّ لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة بالله وأيامه[١].

ويؤكد ابن القيم أن خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه رضي الله عنهم كانت تركز على أصول الإيمان فيقول:"ومن تأمل خطب النبيﷺ، وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه، وأيامه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد ابن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ١/٤٢٣، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون – أي الخطباء – من عظمة الله وصفاته ما يحببهم إلى خلقه، ويأمرون بطاعته وذكره وشكره وما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم".(١)

وعلى خطيب الجمعة لتحقيق ذلك سوق الأدلة من القرآن والسنة، ومن آيات الله في الآفاق والأنفس، لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾. [فصلت: ٥٣]

ولا شك أن آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس تشكل الأساس في أدلة القرآن على وحدانية الله، وهي مصدر غني وواسع لخطيب الجمعة، يستثمرها في ترسيخ الإيمان في نفوس المستمعين، "فهي أدلة ترتكز إلى المبادئ النظرية في الإنسان، وتصل به إلى الإيمان الصادق، عن طريق الجمع بين الأدلة العقلية والأدلة الروحية، وتربط بين النظر في الكون وبين الإحساس الداخلي والاستجابة الأصيلة إلى نداء العاطفة والروح، الذي ينبعث من أعماق النفوس".(٢)

والخطيب الناجح هو الذي يقرّر الإيمان في النفوس من خلال أدلة القرآن، ويبتعد عن الأدلة الجدلية التي جاء بها المتكلمون، فأدلة القرآن – كما يقول ابن قيم الجوزية –: "متضمنة للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات وردّ النحل الباطلة والآراء الفاسدة، وقد قدّمها القرآن على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً، فهو الشفاء – على الحقيقة – من أدواء الشبه والشكوك، وأحسن ما عند المتكلمين وغيرهم، فهو في القرآن أصحّ تقريراً وأحسن تفسيراً".(٣)

---

(١) المصدر السابق، ١/٤٢٣-٤٢٤.

(٢) الدلالة العقلية في القرآن الكريم، عبد الكريم عبيدات، ص ٥٠١، ط١، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/٤٤. تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

ثانياً: إثارة كوامن الفطرة الإنسانية:

إن الإيمان بالله تعالى فطري في النفوس، لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.[الروم: ٣٠]

فالناس جميعاً مفطورون على الإسلام، لولا عوارض تعرض لهم، فيبقون بسببها على الكفر، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذ يقول: قال رسول الله ﷺ:"ما من مولود إلا يولد على الفطرة[(١)]

"إن نوازع الإيمان أصيلة في النفس الإنسانية وليست عارضة، وهي جزء من خلق الإنسان وتكوينه، وليست من صنع المجتمع أو التاريخ، ولهذا فإن الإنسان لو خلّي وشأنه لاختار الإيمان، وإن كل ما يناقض الفطرة من الإلحاد أو الشرك، هو الذي يأتي من البيئة، والقدوة، والمجتمع، ومن التعليم الذي يشوّه هذه الفطرة أو يطمسها، ويرين عليها".[(٢)]

وعلى خطيب الجمعة إذ يستثير في الناس كوامن الفطرة، وأن يقدّم الأدلة من منهاج الله تعالى ومن الواقع، فالإيمان قاسم مشترك بين الناس جميعاً، عربيهم وأعجميهم، أبيضهم وأسودهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.[الأعراف: ١٥٨]

وخطبة الجمعة ذات أثر كبير في إيقاظ الفطرة، من خلال:

أ – لفت الإنسان إلى آيات الله في الآفاق والأنفس، وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾. [الأعلى: ١-٣]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: لا تبديل لخلق الله. انظر: فتح الباري، ٨/٥١٢، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/٢٠٧.

(٢) المرجع في تدريس علوم الشريعة، ص ٤٢٦-٤٢٧، بحث للدكتور عدنان زرزور، بعنوان تدريس العقيدة.

ويمكن عرض هذه الآيات بأسلوب ميسر ومقنع، ليستطيع السامعون إدراكها، ولكي تؤثر فيهم، لتثمر إيماناً راسخاً ويقيناً لا يتزعزع.

ب – لجوء الإنسان إلى ربّه في لحظات الكرب والشدة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[يونس: ٢٢] وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾.[يونس: ١٢]

فالرخاء والنعم لا تدوم، بل لا بد أن يصيب الناس الكرب والشدة، مثل الموت والمرض، والزلازل والبراكين، والحروب وغيرها، فعلى الخطيب أن يستغل هذه الشدائد، فيردّ الناس إلى خالقهم، فهو وحده القادر على كشفها: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾. [يونس: ١٠٧]

وهذه الشدائد التي تصيب الناس كثيرة ومتجددة، والخطيب الناجح هو الذي يستغل ذلك، فيرسخ الإيمان في النفوس، ويعيد القلوب الشاردة إلى دفء الإيمان، ولعل الموت هو من أكثر المصائب التي تلمّ بالناس، وعلى الخطيب أن يغتنم مناسباته فيذكر المستمعين بخالقهم، ويدعوهم إلى الالتزام بما افترض الله عليهم، والابتعاد عما حرّمه.

ثالثاً: خطبة الجمعة ميدان مهم لبيان أسماء الله وصفاته وآثارها التربوية والأخلاقية في حياة المسلمين:

من أنواع التوحيد التي على المسلم الإقرار بها: توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته، فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، لا نتجاوز القرآن والسنة، من غير تشبيه ولا تعطيل.

وأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، "فإذا غاب عن الإنسان شيء من هذه الأسماء الحسنى ومن

صفات الله، اضطرب التصور الإيماني، واختل اختلالاً، قد يؤدي إلى الانحراف أو الشرك أو الكفر، على قدر ما يغيب من هذه الأسماء والصفات".[١]

ومعرفة الله تعالى إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وهذه المعرفة قد شابهها شيء من عدم الوضوح عند بعض المسلمين في تاريخهم الطويل، وخاصة عند الفرق الإسلامية، التي لجأ بعضها إلى تأويل هذه الصفات، تأويلاً أدى إلى التعطيل، أو تشبيهاً لصفات الخالق بالمخلوق، تعالى الله عن ذلك.

ويمكن من خلال خطبة الجمعة تقديم فهم ميسر لأسماء الله وصفاته في إطار الكتاب والسنة، مع بيان لآثارها التربوية والسلوكية في حياة المسلمين.

ولو أن المسلمين اليوم طوعوا سلوكهم وحياتهم لمقتضيات هذه الأسماء والصفات ومدلولاتها، فأي أمة على وجه الأرض يكونون؟ وأي مجتمع إنساني يقيمون؟

إن جانباً مهماً من جوانب صمود هذه الأمة، وعدم انقطاع حيويتها وفاعليتها أمام عوامل الضغط والاستبداد الداخلي وأمام صنوف التعدي والعدوان الخارجي[٢]، إنما يعود إلى الفهم الصحيح لهذه الأسماء والصفات، والى التفاعل الحقيقي معها من قبل المسلمين، وقد كان هذا الإيمان على الدوام هو الحصانة الحقيقية أمام عوامل الضعف والهزيمة التي تتسرب إلى النفوس في لحظات ضعف الإيمان.

ومن هنا فإن على خطيب الجمعة أن يرسخ في نفوس المصلين آثار هذه الأسماء والصفات، لتكون حياتهم وفق منهج الله الذي ارتضاه لهم، ولتكون هذه الحياة هي التطبيق العملي لفهمهم الصحيح لأسماء الله وصفاته.

وعلى خطيب الجمعة في عرضه لموضوع الأسماء والصفات أن يتجنب الخوض في الاختلافات التي حدثت بين الفرق الإسلامية، مخافة اختلال يتطرق

---

(١) تقويم نظرية الحداثة، عدنان علي رضا النحوي، ص ٦٢.

(٢) انظر: المرجع في تدريس علوم الشريعة، ص ٤٤٥-٤٤٦.

إلى عقائد العامة، يصعب عليهم الخلاص منه[1]، بل يقتصر في ذلك على ما نطقت به نصوص الكتاب والسنة بأن الله منزّه عن مشابهة المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥]، فإن أغلب المسلمين في غنى عن جدليات أهل الكلام في مسائل الأسماء والصفات، وفي مسائل العقيدة الأخرى، وإن التطرق إلى ذلك في خطبة الجمعة من شأنه أن يشوش عقائد العامة، ويبعث على الاختلاف عند من كانت لديه دراية بالفرق الإسلامية وعقائدها، واختلافها فيما بينها، فخطبة الجمعة تجمع ولا تفرق، وتقدم فهماً ميسراً لمسائل العقيدة وغيرها.

ويمكن لخطيب الجمعة أن يبين آثار هذه الأسماء والصفات في عبارات موجزة نسوق نموذجاً لها:

١ - فإذا شعر الإنسان بالكبر والعجب تذكر صفات: الجلال والعظمة لله تعالى، عندها تخضع الأعناق وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات.

٢ - وإذا شعر الإنسان باليأس والضعف، تذكر رحمة الله وبرّه ولطفه وإحسانه، عندها تنبعث في نفسه قوة الرجاء والطمع في رحمة الله، وكلما قوي الرجاء جدَّ في العمل.

٣ - وإذا تغلبت في الإنسان قوة الشهوة والغضب واللهو واللعب، والحرص على المحرمات، تذكر صفات الانتقام والغضب والسخط والعقوبة، عندها تنقمع النفس الأمارة بالسوء، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب، واللهو واللعب، والحرص على المحرمات، وانقضت أعنّة رعونتها، واستحضرت حظها من الخوف، والخشية، والحذر.

٤ - وإذا سوّلت للإنسان نفسه أن يرتكب حراماً في السر، أو رياء في العمل، تذكر اتصاف الله بصفات: السمع والبصر والعلم، عندها تنبعث من العبد

(١) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ط٧، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

قوة الحياء، فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته الله عليه، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره، موزونة بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الهوى والغريزة.

٥ - وإذا عرف العبد أن الله يتجلى بصفات: الكفاية والحب والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم إليهم، ورفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعثت من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه، والرضا به، وفي كل ما يجريه على عبده.

٦ - وإذا عرف العبد أن من صفات الله: العزة والكبرياء، أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخضوع القلب والجوارح، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه(١).

وكذا الحال في بقية صفات الله تعالى، التي يجب أن نلمس آثارها في سلوكنا وفي حياتنا، عندما نكون موحدين لله حقا في أسمائه وصفاته.

وعلى خطيب الجمعة أن يرسخ هذه المعاني والآثار لتلك الصفات في قلوب المصلين.

رابعاً: أن يرسخ الخطيب في أذهان السامعين أن أي عمل لا يقبل عند الله سبحانه إلا إذا كان مرتكزاً على أساس الإيمان بالله تعالى:

وهذه مسألة على غاية من الأهمية، لأنها تنتظم حياة الإنسان كلها، فإذا فقد الإيمان بطل العمل، يوضح ذلك العديد من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[النور: ٣٩] وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والولاية، لابن قيم الجوزية، ١/٢٨٧، وما بعدها، ط مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية.

أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾. [إبراهيم: ١٨]

قال الشوكاني في هذه الآية: "مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد"، والمعنى أن أعمالهم باطلة غير مقبولة، والرماد ما يبقى بعد احتراق الشيء، وضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف...، "لا يقدرون فما كسبوا على شيء" أي: لا يقدر الكفار مما كسبوا من تلك الأعمال الباطلة على شيء منها، ولا يرون لها أثراً في الآخرة، يجازون به ويثابون عليه، بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب، كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها[١].

٤- أن يرسخ خطيب الجمعة في أذهان السامعين بعد أن يستقر الإيمان في قلوبهم:

أ - أن تكون أعمالهم موافقة لما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]

ومن شأن معرفة المسلمين بهذا الأمر أن يقضي على كل مظاهر الابتداع في دين الله عز وجل، ليبقى دين الله صافياً مبرءاً من كل زيادة، ولا شك أن الابتداع خطير في الدين، لأنه يختلط الحق بالباطل، ويشوّه الدين، ويصبح ركاماً من البدع، يصعب على الناس حمله.

ب - أن تكون أعمالهم خالصة لله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. [البينة: ٥]

والإخلاص عمل قلبي، لا يطّلع عليه إلا الله تعالى، وفي الحديث: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"[٢].

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط البابي الحلبي، القاهرة، ٣/١٠١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب: تحريم الرياء. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/١١٥.

ومن شأن الإخلاص أن يقضي على الرياء عند القيام بأي عمل، ويكشف عن الدوافع الحقيقية والأصيلة في النفس البشرية، وهذا بدوره يؤسس لعلاقة حقيقية بين أفراد المجتمع الإسلامي، مبرأة من كل الأهواء والمصالح والتظاهر الكاذب.

خامساً: بيان أن الحب الأكبر هو لله ورسوله، وأن الإيمان والتوحيد لا يستكملان خصائصهما إلا بتحقق هذا الشرط، لقوله ﷺ:"من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"[(١)]، وعلى خطيب الجمعة أن يسوق الأدلة على ذلك من منهاج الله وسيرة الأنبياء كلهم، والنبوة الخاتمة خاصة.

ولا بد أن يبين الخطيب أهمية أثر هذا الشرط في واقع الإنسان، حين يصبح الحب كله في حياته نابعاً من هذا الحب الأكبر مرتبطاً به، لينأى بذلك عن الحب الملوث بالفاحشة، الملوث بالأهواء والمصالح[(٢)].

سادساً: بيان معنى الولاء، وكيف يجب أن يكون الولاء الأول لله سبحانه وحده، ومن هذا الولاء ينبع كل ولاء آخر في الحياة الدنيا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]

وإذا رجعنا إلى كتاب الله تعالى، نجد أن موضوع الولاء قد أخذ حيزاً واسعاً، فقد عرضه القرآن في قرابة اثنتين وعشرين سورة، ولا عجب في ذلك، فالولاء يمثل الطاقة المحركة للإيمان، فهو يحرك الحب الخالص لله، والخشية

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وسنده حسن، وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه أحمد في مسنده، ٥/١٤٦، ورقمه ٢١٦٢٨، ونصه: عن أبي ذر قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال قائل: الصلاة والزكاة، وقال قائل: الجهاد. قال: إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل، الحب في الله، والبغض في الله، وإسناده قوي. انظر: شرح السنة، للبغوي، ١٣/ ٥٤.

(٢) منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، عدنان علي رضا النحوي، ص ٨٥.

الخالصة لله، وهو الذي ينظم ويحرك العاطفة والشعور والإحساس في اتجاهها الحق السوي، وهو كذلك محرك النية ومطلقها وموجهها، وهو أيضاً يحرك طاقة الفكر والتصور، ويدفعها في كل آفاقه، ويتحكم في كل اتجاهاته، كما أنه يحرك طاقة العمل والنشاط في شتى المواقع والميادين، ويزوده بالحرارة والنشاط والقوة(١).

وإذا كان الولاء من الأهمية بمكان، فعلى خطيب الجمعة أن يبين أن الموالاة بين المؤمنين والأخوّة في الله لا يمكن أن يتحققا في واقع الحياة –كما أمر الله بهما– إلا إذا تحقق صدق الولاء الأول لله وحده، وإلا إذا نبعث الموالاة والأخوة من هذا الولاء وارتبطت به، كذلك لا يمكن أن تتحقق سائر الروابط الإيمانية في المجتمع الإسلامي إلا إذا تحقق الولاء الأول الصادق لله وحده لا شريك له(٢).

وعلى خطيب الجمعة أن يذكّر المؤمنين أن العصبيات الجاهلية لا يمكن أن تموت إلا إذا تحقق صدق الولاء وصفاؤه.

وفي المقابل على خطيب الجمعة أن ينبّه جمهور المؤمنين في المسجد إلى وجوب البراءة من أعداء الله، على اختلاف مللهم، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١] وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾.[المجادلة: ٢٢]

وهذه المسألة لها آثارها العميقة داخل المجتمع الإسلامي:

أ – فهي تجعل العلاقة بين المؤمنين قائمة على أساس الإيمان، وليس على أساس النسب والمصالح قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ

(١) لقاء المؤمنين، عدنان على النحوي، ١/ ٨٤–٨٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٨٥.

﴿بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، ومن شأن ذلك أن يقضي على العصبيات الجاهلية التي استفحل خطرها في مجتمعاتنا، وأصبحت روابط النسب فوق روابط الدين، مما ترتب عليه تمزيق الصف الإيماني، بل حتى عدم بروزه كتيار يقابل التيارات الجاهلية، وهذا بدوره يعطل طاقات المؤمنين بالله، ويقتل الأمل فيهم للتطلع نحو حياة إسلامية نظيفة.

ب - البراءة من كل من يعادي الله ورسوله والمؤمنين، سواء داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، وهي مسألة لها أهميتها في وقتنا الحاضر، إذ وجدنا كثيراً من المسلمين يوالون أعداء الله على حساب ولائهم لله ورسوله والمؤمنين، مما ترتب عليه تمزيق الصف المسلم، وغلبة الأعداء على ديارنا، واستباحة حرماتنا، وأصبح توحيد الصف المسلم ضرباً من الخيال، بسبب هذه الولاءات الخطيرة.

وخطبة الجمعة تسهم إسهاماً كبيراً في توضيح هذه العقيدة في نفوس المسلمين، ويستطيع الخطيب الناجح أن يجمع المؤمنين على أساس من الولاء لله، وما يتفرع عنه من أنواع الولاءات الأخرى، ويستطيع أيضاً أن يرسخ عقيدة البراء من أعداء الله في قلوب المؤمنين، وعندئذ يقوى الصف المسلم أمام عدوه، ويندحر المنافقون والمتآمرون على الأمة.

سابعاً: خطبة الجمعة والإيمان باليوم الآخر:

إذا تأملنا في كل جهد يقوم به الإنسان، فإننا نجد أنه ينتظر لهذا الجهد ثمرة يجنيها في قابل الأيام، واليوم الآخر - الذي يعقب هذه الحياة الدنيا - إنما هو الأمل الذي يرجو كل مؤمن أن يجني ثمرة عمله الذي قدّم، وذلك من خلال الطمع في الجنة والنجاة من النار، وهما مآل كل إنسان، حسب عمله الذي قدّم في دنياه.

ويمكن القول أن كل حركة ونشاط، وكل قول، بل حتى كل نيّة للإنسان إنما تتعلق بذلك اليوم تعلقاً مباشراً، فالله تعالى يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا

لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ويقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.[الزلزلة: ٧-٨]

ومن هنا فإن خطبة الجمعة هي الوسيلة المناسبة لتذكير المسلمين باليوم الآخر، على نحو ترتبط فيه كل أنشطة الإنسان بذلك اليوم، من خلال ما يرجوه من ثواب على صالح عمله، في مقابل النجاة من عذاب الله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

ولكن الملاحظ أن كثيراً من خطباء الجمعة قد جعلوا من المنابر وسيلة لإلقاء الرعب في قلوب المصلين، من خلال تركيزهم في خطبهم على النار، وما أعده الله للكافرين والعصاة من ألوان العذاب، دون أن يتركوا لأحد فسحة من الأمل والرجاء برحمة الله تعالى.

والخطيب الناجح هو الذي يجمع بين الترغيب والترهيب في خطبة، "فترغيب المصلين في ثواب الله ورضوانه، وتبشيرهم بما أعد الله تعالى لهم من نعيم مقيم في الآخرة، وتمكين ونصر لهم في الحياة الدنيا، يفتح أمامهم آفاقاً رحبة، ويجعل فسحة الأمل بين أيديهم واسعة، وذلك ما قد يدفعهم إلى الإقبال على الله تعالى، والعمل بما يرضيه، كما أن الترهيب يؤدي نفس الغاية حين يعطى بقدر، ممزوجاً بالترغيب والبشائر والأمل، أما حين يزيد عن الحد المعقول، فإنه يخشى منه أن ينقلب إلى نوع من اليأس والقنوط، أو إلى نوع من الإحباط والخوف المقعد عن العمل، والمعطل لكل أنواع الأمل.

إن الإفراط في الترغيب مضر كالإفراط في الترهيب، ولذلك لا بد من التوفيق بينهما، واستعمال كل منهما في الوقت المناسب وبالقدر المناسب"[(١)]، ليبقى المؤمن بين الخوف والرجاء.

---

(١) مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف الأردنية، العدد الخامس، المجلد ٣٢، سنة ١٤٠٨-١٩٨٨، من مقال بعنوان:دراسة في خطبة الجمعة، يحى سالم الأقطش، ص ٤١-٤٢.

ثامناً: خطبة الجمعة والإيمان بالقدر:

مسألة القدر من المسائل التي ثار حولها جدل كبير بين المسلمين في القديم والحديث، وكانت مثار اختلاف، أدى إلى ظهور الفرق الإسلامية المختلفة، والتي كان القدر سبباً من أسباب نشأتها، كالقدرية والجبرية مثلاً.

وهذا الاختلاف في القدر – على النحو الذي حصل في تاريخ الفرق الإسلامية – لا ينبغي أن ينسحب على واقع المسلمين في الوقت الحاضر، لأنه يؤدي إلى تعميق الفرقة بينهم، في وقت هم أحوج فيه إلى الوحدة، لمواجهة الأخطار التي تحيط بهم.

ومن هنا تبرز أهمية خطبة الجمعة في إعطاء فهم ميسر للقدر عند المسلمين اليوم، يكون مستقى من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وما كان عليه سلف هذه الأمة، فهماً يوازن بين الإفراط والتفريط، اللذان مثّلهما الجبرية والقدرية، ليستقر في ذهن المسلم قدرة الله ومشيئته النافذة في الكون من جهة، ومسؤولية الإنسان عن أعماله التي تصدر عنه من جهة ثانية، ومن شأن هذا الفهم أن يسكب اليقين والرضى في قلب المؤمن عند حلول المصائب، ويحفزه للعمل والأخذ بالأسباب، لتحقيق النتائج، وفق ما جرت به سنة الله تعالى.

إن من شأن الفهم الصحيح لعقيدة الإيمان بالقدر أن تجنب المسلمين التفرق والاختلاف، ليحفظوا طاقاتهم ويوجهوها في سبيل الخير، وليدركوا ما عليهم من مسؤوليات توصلهم إلى ما يريدون، فإن الأمور لا تأتي جزافاً ومصادفة، بل لا بد من بذل كل سبب مستطاع للوصول إلى تحقيق الهدف، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد سئل رسول الله ﷺ فقيل له: أرأيت دواء نتداوى به، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقّيها، أترد من قدر الله تبارك وتعالى شيئاً؟ فقال: هي من قدر الله "(١).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣/٤٣١، ورقمه ١٥٥٥١، والترمذي في سننه، كتاب الطب، ورقمه ٢١٤٤، وقال عنه: هذا حديث حسن، انظر: الجامع الصحيح، ٣/٢٧٠.

يقول شارح العقيدة الطحاوية:"وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب!، وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام...، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لامة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب"(١).

وينكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم من اليمن، لتفريطهم في الأخذ بالأسباب، فيسألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتآكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبّه في الأرض، ويتوكل على الله(٢).

وفي المقابل: على المسلم أن يعتقد أن الأسباب لا تكفي وحدها، بل لا بد من الاعتقاد أن الأسباب تؤثر بقدرة الله وعونه، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقد نزلت هذه الآية على الراجح في يوم بدر، إذ أخذ الرسول ﷺ قبضة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأصابت كل واحد منهم في عينيه ومنخريه وأنفه، والمعنى: وما أصبت إذ رميت يا محمد، ولكن الله أصاب، فالرمي كان من الرسول ﷺ، ولكن إصابة القوم هو فعل الله تعالى، لأن الرمية التي رماها عليه السلام، ما كان لها أن تبلغ القوم وتصيبهم، لولا أن الله أوصلها إليهم فأثّرت فيهم(٣).

ومن شأن الفهم الصحيح للإيمان بالقدر: أن يسكب في قلوب المؤمنين السكينة، وأن تفيض على نفوسهم الطمأنينة، وأن تربي في نفوسهم العزة، وأن يواجهوا المصائب بصبر ورضا ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦]، فلا ينهار المسلم أمام المصائب إذا حلّت، ولا الخطوب إذا ادلهّمت، بل يدرك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيء بقضاء الله وقدره.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٣٠١، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

(٢) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص ٣٨٤، ط البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

(٣) انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٢/ ١٩٤-١٩٥.

وليس من وسيلة أفضل من خطبة الجمعة، ترسّخ هذا المفهوم الميسّر للقدر في نفوس المسلمين، بعيداً عن جدليات المتكلمين، ذلك أن خطبة الجمعة هي التي تطل على المسلمين كل أسبوع، وكم من المصائب تنتاب الناس على مدار الأسابيع والشهور! خاصة مصيبة الموت التي لا يغيب وقوعها، فخطبة الجمعة عندئذ تهدىء الخواطر، وتجبر الكسر، وتشحذ الهمم، وتسكب في نفوس المصلين الرضا واليقين بقدر الله تعالى.

المبحث الرابع
أثر خطبة الجمعة في الجوانب التربوية والاجتماعية

تواجه مجتمعات المسلمين اليوم – وفي كل البلاد – مشاكل تربوية واجتماعية خطيرة، من شأنها أن تعصف بها وتدمّر كيانها، ومن هذه المشاكل:

١ – **المعاصي القولية والفعلية**: كالغيبة والنميمة، والكذب والسخرية والاستهزاء والسب والشتم، والطعن في الأعراض، والزنا وشرب الخمر، والقتل، والربا، إلى غير ذلك من الآفات التي توغر الصدور، وتزرع الأحقاد، وتحدث الفتن وتقطع الأواصر، وتجعل المجتمع يعيش بنفسيات متعبة، مما يعطل الطاقات، ويضيع الأوقات، في أمور كان من المتيقن صرف الوقت والجهد فيها إلى عمل مثمر، يعود على الأمة بالخير.

وإذا حاولنا التعرف على أسباب شيوع هذه الآفات في المجتمعات، لوجدنا أن ضعف الإيمان هو السبب الأول، ومما يدل على ذلك: النصوص العديدة التي وردت في القرآن والسنة ومن ذلك:

أ – ما ورد في القرآن من خطاب يستثير في المؤمنين كوامن الإيمان للالتزام بما أمر الله تعالى، أو الانتهاء عما نهى عنه، مثل قوله سبحانه:

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[البقرة: ١٥٣].

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾[البقرة: ٢٥٤]

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

– ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[الحجرات: ١١].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت خطاباً للمؤمنين[١].

ب - ما ورد في السنة النبوية من أحاديث عديدة، تربط بين الإيمان وثماره في سلوك المسلم، ومن ذلك:

- قوله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٢].
- وقوله: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[٣].
- وقوله: "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتَّبعوا عوراتهم"[٤].
- وقوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"[٥].

وهذه المعاصي: قولية كانت أم فعلية، تشكل خطورة على المجتمعات، لأنها تقوض النسيج الاجتماعي. وجدير بخطيب الجمعة أن يركز في خطبه على تقوية البناء الاجتماعي، ومحاربة كل العوامل التي تسعى إلى تقويض هذا البناء.

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٨٢-٨٦، ط المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٢م.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، انظر: فتح الباري، ١/٥٣، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، انظر: فتح الباري، ١/٥٣، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/٦.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في الغيبة، انظر: سنن أبي داود، ٤/٢٧٠، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في تعظيم المؤمن، ورقمه ٢١٠١، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد. انظر: الجامع الصحيح، ٣/٢٥٥، قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود عن سعيد بن جريج عنه، ورواه أبو يعلى بإسناد حسن من حديث البراء، انظر: الترغيب والترهيب، ٣/٢٤٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، المقدمة، ورقمه ٥٥٧٨، انظر: فتح الباري، ١٠/٣٠.

والقرآن –عماد خطبة الجمعة– "شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة"[(١)].

وغير خاف ما للخطابة الدينية من أثر على النفوس في كل ضروب الإصلاح، فلو درس كل خطيب ديني المجتمع الذي يعيش فيه، وتبيّن العلل والأدواء الاجتماعية الموجودة فيه، وعمل جاهداً على تطهير القلوب، لاستطاع أن ينشر السعادة بين الناس، ويحقق الأمن الاجتماعي، ورب خطبة من عالم بليغ أطفأت فتناً، ودفعت شراً مستطيراً، وجلبت خيراً كثيراً[(٢)].

"كما أن المشاعر الدينية من شأنها أن ترسي دعائم الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، وتهذيب السلوك، وتصحيح قواعد المعاملات، وإرساء العلاقات على أسس من التعاون والتكافل الاجتماعي، وهي فضلاً عن ذلك لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في الحياة الاجتماعية، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتودد والتواصل، لا يدانيه رباط آخر من روابط الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة، فرابطة الأخوّة في العقيدة هي العصب الجامع لكل القيم الأخلاقية والمثل العليا التي تسير على هديها الجماعات"[(٣)].

والخطيب الناجح هو الذي يستثمر المشاعر الدينية عند الناس، ويوظفها في تقوية البناء الاجتماعي، ومعالجة الأدواء الاجتماعية، من خلال تذكيرهم بالله تعالى، وما أعده لأهل الإحسان منهم، في مقابل ما أعده للمسيئين، وذلك من خلال ربط القلوب بالله، وتذكير الناس برقابة الله على أقوالهم وأفعالهم، وتذكيرهم بعذاب الله إن هم خالفوا أمره بارتكاب ما حرم عليهم، في مقابل ترغيبهم بالجنة إن هم كفوا عن إيذاء المسلمين، وانتهوا عما حرم عليهم، كما كان يفعل الرسول ﷺ، إذ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: "إنما

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢٢٤٨.
(٢) انظر: فن التدريس للتربية الدينية، محمد سمك، ص ٤٤١-٤٤٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٠٣ بتصرف.

أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها"[١].

فكيف أثَّر هذا الوعظ فيهما؟ يقول ابن حجر:"زاد عبدالله بن رافع في آخر الحديث: فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لك، فقال لهما النبي ﷺ: أما إذا فعلتما فاقتسما وتوخيا الحق، ثم استهما، ثم تحاللا"[٢].

إن الخطيب الناجح هو الذي يثير كوامن الإيمان في نفوس المصلين، فتستجيش عواطفهم، وتفيض قلوبهم بالعفو والصفح والإحسان، وتنقمع الشهوات، وتكف الألسنة والأيدي عن ارتكاب ما حرم الله تعالى، ولا يقدر على الالتزام بهذا إلا قلب موصول بالله تعالى، يخاف عذابه، ويطمع في جنته: ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ۝٣٧﴾. [النور: ٣٧]

٢ - الأخطاء العقدية الشائعة:

يمارس الأفراد في المجتمعات الإسلامية المتعددة أخطاء تتعلق بالعقيدة، كالحلف بغير الله تعالى، مثل الحلف بالآباء، والأمانة وغير ذلك، أو قول بعض الناس: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وأنت، ونحو ذلك. أو كقول بعضهم: وشرف الله، أو عن إنسان متوفى: المغفور له، أو هذا ولد شقي، أو فلان الله ما بطيقه، أو عايف ربي الذي خلقني، أو فلان ربنا افتكره أو سب الدهر، وسب الدين، إلى غير ذلك من المخالفات العقدية، وهي كثيرة في مجتمعاتنا.

هذه الأخطاء لا بد من تصحيحها، لأن بعضها كفر، وبعضها شرك أصغر، وما لم يكن كذلك فهو معصية، وليس -في نظري- أنسب من خطبة الجمعة لتصحيح مثل هذه الأخطار، وبيان خطورتها على العقيدة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه، انظر: فتح الباري ١٣/١٧٢.

(٢) فتح الباري، ١٣/١٧٢.

٣ - الخرافات والشعوذة والأمراض النفسية:

يعاني كثير من الأفراد في المجتمعات الإسلامية وفي العالم أجمع من الأمراض النفسية والعصبية، وقد أخذت هذه الأمراض في الازدياد يوماً بعد يوم. ولا شك أن الإيمان هو الشفاء لهذه الأمراض، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

"في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن، ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى فيستروح الرضى من الله، والرضى عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس، والطمع والحسد ونزغات الشيطان، وهي من آفات القلب، تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار"[١].

ويقول سيد قطب في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]: "تطمئن بإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة"[٢].

ولقد أكد كثير من علماء النفس أنه لا علاج للأمراض النفسية التي تصيب كثيراً من الناس في الوقت الحاضر إلا بالعودة بالنفس الإنسانية إلى حظيرة الإيمان، وأن المسلمين قد ضيّعوا فرصاً عظيمة حينما اتجهوا في علاجهم

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢٢٤٨.
(٢) في ظلال القرآن، ٤/٢٢٤٨.

للنفس إلى علماء الغرب والى كتبهم، وتركوا القرآن الكريم، وهو كتاب النفس الأول، فيه حديث الصانع سبحانه وتعالى عن صنعته[١].

ومن هنا فإن خطبة الجمعة فرصة مناسبة لبيان أثر الإيمان في معالجة الأمراض النفسية والعصبية، وفق الضوابط الشرعية، بعيداً عن المغالاة والتهويل الذي يمارسه كثير من الدجّالين والمشعوذين، الذين أوقعوا كثيراً من الناس في أباطيلهم، فلم يعد الناس يعرفون طريق السلامة من هذه الأمراض، ومن ثم فإننا بحاجة إلى خطباء يعرفون هموم الناس، ويداوونها بطب القرآن وهداية الإيمان، وبربط القلوب ببيوت الله تعالى، ففيها الأنس والطمأنينة التي يفتقدها كثير من الناس في زماننا، وبذلك يعود لمجتمعاتنا صفاؤها وتماسكها.

كما لا يخفى على كل بصير بأحوال المجتمعات أن بعض الناس ينشطون في ابتزاز أموال الناس عن طريق ترويج الخرافات المتعلقة بالجن وادعاء معرفة المغيبات، والزعم بأنهم قادرون على معالجة الصرع، أو قيام بعض السحرة بعمل السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه.

وكم تركت ممارسة هذه الأمور في مجتمعاتنا من آثار نفسية واجتماعية خطيرة، اكتوى بنارها أبرياء، وسلبت فيها أموال، وتعبت فيها نفوس، وفرّق فيها بين الأحبّة.

٤- التيارات الفكرية المنحرفة:

يتعرض العالم الإسلامي لغزو فكري منذ زمن، هذا الغزو الذي أفسد العقيدة في نفوس المسلمين، وأثار شبهات حول مفاهيم الإسلام في نفوس أهله، وتمكنت العقائد الوافدة أن تجد لها أنصاراً يدافعون عنها ويروجون لها، وأضحى العالم الإسلامي فريسة سهلة لكل طامع، بعد أن كان عصياً على الأعداء قروناً طويلة، وطبق أعداء الإسلام مقولة: إذا أرهبك عدوك، فأفسد فكره ينتحر به، ثم تستعبده.

---

(١) انظر: أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية، محمد محمد أبو زيد، ص ٢٢٧، ط١، دار الوفا للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

وخطيب الجمعة يمكن أن يزن كل فكر دخيل بميزان الإسلام، وأن يعرض كل وافد على الكتاب والسنة، ليتبين للمسلمين ما يوافق الإسلام فنأخذه، وما يخالف الإسلام فنرفضه، وبإمكان خطبة الجمعة أن تكوّن لجمهور المسلمين الحصانة ضد التيارات والأفكار المنحرفة، بما يعرضه الخطيب من حجج عقلية، مستمدة من الكتاب والسنة، لبيان أخطار هذه الأفكار، ليبقى للعقيدة الإسلامية صفاؤها ودافعيتها في قيادة الأمة إلى مركز الصدارة، التي بوّأها الله لها، وجعل الخيرية لها بهذه العقيدة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. [آل عمران: ١١٠]

٥ - هدر الأوقات وتعطيل الطاقات البشرية:

لعل من أخطر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر: تضييع الأوقات وتعطيل الطاقات، فأوقات كثير من المسلمين تذهب هدراً، وكذلك كثير من طاقاتهم تضيع من غير فائدة، مع أن الإسلام دين يحث على استغلال الوقت واستثماره فيما يعود على الفرد المسلم والأمة المسلمة بالخير، ومن هنا فإن المسلم يُسأل يوم القيامة عن هدر الوقت، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**"[(١)].

وجعل الإسلام القوة الفاعلة دلالة على أفضلية المسلم عند ربه، إذ يقول عليه الصلاة والسلام: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**"[(٢)].

والذي ينظر في أحوال الأمة الإسلامية اليوم يجد أن الطاقة البشرية ضائعة في التنافس على الدنيا، وأصبح التحاسد والتقاتل والأحقاد، والفرقة،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ورقمه ٢٥٣٢، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، انظر: الجامع الصحيح، ٣٦/٤، ط٢، دار الفكر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب الإيمان للقدر والإذعان له، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢١٥/١٦.

والتمزق، والصراع اللاهث وراء الشهوات، هو زاد كثير من المسلمين اليوم، فتبعثرت الجهود وتعطلت الطاقات.

وإذا قارنا إنتاجية بعض دول العالم الثالث، ومنها الدول العربية والإسلامية ببعض الدول غير الإسلامية، فإننا سنجد خللاً واضحاً.

فقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط(١) جدولاً يوضح ذلك على النحو التالي:

الدولة	ساعات العمل في اليوم	حصيلة الإنتاج	الفائض أو الهدر
أمريكا	٨	١٢	+ ٤
اليابان	٨	١٦	+ ٨
ألمانيا	٨	١٦	+ ٨
إسرائيل	٨	١٦	+ ٨
بعض دول العالم الثالث والدول العربية	٨	١	– ٧

ومن المعلوم: أن الإسلام قد فجر الطاقات ونظم الأوقات، وأمر باستثمارها على خير وجه، فكيف تكون أمه نهجها الإسلام خائرة القوى مهدرة لأوقاتها؟!

ومن هنا يجب أن تنهض مناهجنا التربوية ووسائل البناء والإعداد لتثبيت الإيمان والتوحيد في القلوب، لبعث العزائم، واستثمار الأوقات، وتفجير الطاقات المعطلة. ولا شك أن خطبة الجمعة تضطلع بدور رائد في هذا الميدان، لتسهم في بناء الكيان الاجتماعي والتربوي للأمة على أسس إيمانية سليمة.

٦ – العادات الاجتماعية:

يعاني مجتمعنا من بعض العادات في الأفراح والأتراح وغيرها، التي

---

(١) النظرية العامة للدعوة الإسلامية: نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، عدنان علي رضا النحوي، ص ٢٥، ط٣، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، نقلاً عن صحيفة الشرق الأوسط، السعودية.

باتت تثقل كواهلنا على الصعيد: الاقتصادي والاجتماعي والنفسي، حتى أصبحت العلاقات الاجتماعية، يشوبها كثير من الحرج والمشقة. ومن هذه العادات: سهرات الأفراح، وحفلات الصالات، ومواكب الأعراس، وتكاليف الزواج، من مهور وأثاث، وولائم. وعلى صعيد الأتراح: المبالغة في صنع الطعام لأهل الميت، والجلوس مدة طويلة للعزاء، والنعي في الصحف، وغير ذلك من العادات التي استفحل أمرها في مجتمعنا.

إن كثيراً من العادات التي استشرت بين المسلمين اليوم لتدل على خلل عميق في التصور الإيماني، فقد طغت هذه العادات، حتى أصبح تأثيرها أقوى من الإيمان، فقد تجد الرجل يصلي ثم يخالف قواعد الإيمان في بعض ممارساته اليومية، وأصبحنا نجد انفصاماً عند كثير من المسلمين بين العبادة والسلوك.

ولا يخفى أن معالجة ذلك لا يتم إلا من خلال تعميق الإيمان في النفوس، وبيان أن الاستجابة لمقتضياته هو الدليل العملي على صدق المسلم في إيمانه.

وبإمكان خطيب الجمعة أن يخاطب الناس بلزوم تقوى الله عز وجل للحد من هذه العادات، وبيان أن هذه العادات يجب أن تنسجم مع الإسلام، لأن الإسلام دين اليسر والسهولة، وأن يطرح الخطيب مشروعاً عملياً، يلتزم به الناس، ولا شك أن المسجد له أثره الكبير في أن يخرج مثل هذا المشروع إلى حيز الوجود.

٧ – المظاهر السلوكية غير الحميدة لبعض الشباب:

لا يخفى علينا أن بعض شبابنا يقومون بممارسات، تتنافى مع الإسلام، على صعيد الأقوال والأفعال. وإن من أمانة المسؤولية التي أناطها الشارع بالآباء والأمهات والمسؤولين عامة، القيام بواجب التعليم والتوجيه لهؤلاء الأبناء، وتعزيز الثقة بيننا وبينهم، لمساعدتهم في حلّ مشاكلهم، وتغيير سلوكهم إلى الأفضل، بعيداً عن التعنيف والضرب. مذكّرين إياهم بتقوى الله في

أنفسهم، والكف عن الممارسات غير الحميدة، لأنها لا تعود عليهم إلا بالخسران في الدنيا والآخرة.

وخطبة الجمعة -بلا شك- ذات أثر كبير في توجيه الشباب وتعليمهم وتربيتهم، من خلال النصوص الكثيرة من القرآن والسنة، والتي تبيّن أهمية الشباب، ودوره الفاعل في نهضة الأمة.

٨ - خطبة الجمعة وازدياد حالات الطلاق:

يلاحظ أن حالات الطلاق أخذت بالزيادة في مجتمعنا وفي بقية المجتمعات الإسلامية، ففي النشرة الإحصائية السنوية، الصادرة عن دائرة الإحصاءات العامة الأردنية(١) أن عدد حالات الطلاق عام ١٩٨٤م كانت (٢٦٥٢) حالة، من أصل (١٨١٨٩) حالة زواج، أي ما نسبته (٥٨ و ١٤) بالمائة، في حين ارتفعت حالات الطلاق في عام ١٩٩٩م إلى (٨٩٦١) حالة طلاق من أصل (٤٤٠٧٩) أي ما نسبته (٢٠,٢٣) بالمائة، أي بارتفاع نسبة ٦ بالمائة تقريباً.

كما أن المشاكل بين الزوجين - في كثير من الأسر - تتفاقم يوماً بعد يوم، مما يؤذن بانهيار العلاقة الزوجية في يوم من الأيام.

وإذا بحثنا في الأسباب التي أدّت إلى ارتفاع حالات الطلاق نجدها تعود إلى أسباب: دينية واجتماعية واقتصادية وصحية، وفي اعتقادي أن الأسباب: الاجتماعية والاقتصادية والصحية إنما ترجع الى الأسباب الدينية، ذلك أن كل سبب من هذه الأسباب إنما يرتبط بالسبب الديني، بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن خلال التتبع والاستقراء في أحوال مجتمعنا وبقية المجتمعات، نجد أن من أسباب الطلاق: تفريط أحد الزوجين أو كليهما في الحقوق والواجبات، أو التقصير في تربية الأولاد، أو الخيانة الزوجية، أو سوء اختيار الزوجة أو الزوج، أو إكراه أحد الزوجين على الارتباط بالآخر من قبل أولياء أمورهما، أو عدم

---

(١) النشرة الإحصائية السنوية لعام ١٩٨٤، العدد ٣٥، ص٣٩، ٣٨، ٥٠ وانظر أيضاً: التقرير الإحصائي الصادر عن دائرة قاضي القضاة، لعام ٢٠٠١ العدد السادس ص ٤٤.

الكفاءة في الزواج، أو تدخل أطراف أخرى في حياة الزوجين، أو غير ذلك من الأسباب.

هذه الأسباب وغيرها، إنما ترتبط ارتباطاً مباشراً بالإيمان بالله تعالى، فالتقصير من قبل أحد الزوجين في الحقوق والواجبات إنما يعود إلى عدم الخوف من الله تعالى، الذي أكّد على هذه الحقوق في كثير من الآيات والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

كما أن الإيمان بالله تعالى يوجب على الآباء والأمهات القيام بمسؤولياتهم تجاه الأبناء، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**".[١]

ويؤكد الإسلام على حسن اختيار الزوجة والزوج، ويراعي في ذلك ابتداءً الدين، قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، ويقول المصطفى ﷺ: "**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[٢]، ويقول: "**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى: (أطيعو الله وأطيعو الرسول وأولي الأمر منكم)، انظر: فتح الباري، ١٣/١١١. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٢/٢١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدِّين، انظر: فتح الباري، ٩/١٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب: ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، ورقمه ١٠٩١ وقال عنه: حديث حسن غريب: انظر: الجامع الصحيح ٢/٢٧٤، وقال البغوي بعد أن أورده: وأبو حاتم المزني-أي راوي الحديث- له صحبة، ولا يعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث، انظر: شرح السنة، ٩/١٠.

ويمكن إرجاع الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق – في أكثر الحالات – إلى ضعف الوازع الديني عند الزوجين أو أحدهما، أو الأطراف المرتبطة بهما.

وخطبة الجمعة أنسب وسيلة لاستقصاء أسباب الطلاق ووضع الحلول الناجعة لها، في جو إيماني، يذكّر الزوجين وأصحاب العلاقة بالله تعالى، والتخويف من عذابه إذا قصّر أحد الزوجين بالحقوق التي للآخر، أو أقدم أولياء الأمور على إكراه الزوجة على زوجها، والتلويح بعذاب الله أيضاً لكل طرف يحاول إفساد الحياة الزوجية، وهدم العلاقة بين الزوجين.

ومن خلال الوقائع العديدة كان كثير من الأزواج: رجالاً ونساءً يناشدون خطباء الجمعة بالتأكيد على الحقوق الزوجية، والمعاملة الحسنة من الطرف المسيء، أو غير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تقيم علاقة ود ورحمة بين الزوجين، تمنع من انهيار الأسرة، أو تخفف في أسوأ الحالات من جحيم المعاناة التي يعيشها أحد الزوجين.

نموذج لخطبة معاصرة(١)، تبيّن أهمية العقيدة، وآثار ذلك على الفرد والمجتمع:

إذا كان الرسول ﷺ والصحابة والتابعون ومن بعدهم في العصور المتتالية قد أكدّوا على أهمية العقيدة وقدرتها على معالجة أمراض الأفراد والمجتمعات، وشحذ العزائم لفعل الطاعات وترك المحرمات، فإن كثيراً من الخطباء في الوقت الحاضر قد أدركوا أهمية العقيدة، فجعلوا خطبهم مرتكزة عليها، واستثاروا في نفوس الناس كوامن الإيمان، وخاطبوهم بنداء الفطرة، فإذا النفوس مخبتة الى ربها، ملتزمة بأمره، منتهية عن معصيته.

"الحمد لله الذي جعل لمن لاذ به من كل ضائقة مخرجاً، وأعقب ضيق الشدائد لمن توكل عليه فرجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أصبح قلبه بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته مُبتهجاً، وأشهد أن نبينا

---

(١) خطبة الجمعة في المسجد النبوي الشريف، وموضوعها: العقيدة مصدر قوة الأمة للشيخ: حسين آل الشيخ، بتاريخ ٢٥/٧/١٤٢٢هـ.

محمداً عبده ورسوله العبد المجتبى والنبي المصطفى صلى الله عليه صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل في الأقوال والأفعال، في السر والجهار، فمن اتقاه وقاه، وجعل له من كل ضيق فرجاً، ومن كل همّ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

أمة الإسلام، أعظم نعمة وأجل منّة بعثة نبينا محمداً ﷺ بعقيدة صافية تحقق الصلاح والخير، وتدرأ الشقاء والشر، بما تضمنته من ركائز العدالة والأخوّة، ومن دعائم الحرية والمساواة والسلام، وبما اشتملت عليه من أخلاق تطهّر النفوس، وتربي الضمائر على أنبل الصفات، وأكرم الفضائل وأعلى المثل.

إخوة الإسلام: إن العقيدة التي أرسى النبي ﷺ قواعدها، وثبت أصولها هي مصدر الخيرات، ومنبع السعادة والمسرّات، وذلك لمن رعاها حق رعايتها، واتبّع هداها، والتزام بمقتضاها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩،١٠] هي الشجرة الطيبة، يانعة الثمار، دائمة الأُكل، مهما امتد الزمان واحتدّ الصراع، وعسر الطريق وعظمت الخطوب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

العقيدة الإيمانية ذخيرة الخير لبني الإنسان، بدونها تلتوي عليهم السبل، وتكتنفهم الهواجس، ويستبدّ بهم القلق، ويتيهون في غمار الحيرة والضياع والخسار، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر]

العقيدة الإيمانية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، رفد دائم ومدد قوي لتيار الخير والصلاح، وحاجز منيع لصدّ دواعي الشر وطغيانه المدمر، صاحبها لا

يزل عن مسلك قويم، ومنهج مستقيم، ولا تحيط به جواذب الأهواء، أو تستبدّ به زخارف الحياة ومغرياتها، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

إخوة الإيمان: بالعقيدة الصحيحة يعرف الإنسان موضعه الصحيح، ويستنير له دربه القويم في هذه الحياة، سيراً على الهدى والبصيرة، وسلوكاً للحق والرشاد، في معالم واضحة، وخطى ثابتة، وهدف مرسوم، يعمر الحياة من خلالها بكل خير، ويقيم فيها المثل العليا، والمناهج الفضلى، وفق فطرة نقية، وضمير طاهر، وإرادة موجهة إلى الإصلاح والفضائل، وتصميم جازم في البعد عن القبائح والرذائل، الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيهديهم ويصلح بالهم.

أمة محمد ﷺ: آثار الإيمان في النفوس بالغة، وثمار العقيدة الصحيحة في الحياة عجيبة، فإلى جانب تطهيرها للنفوس، وإنمائها لمعاني الخير فيها، فهي ذخيرة حية، لا تنفد بمدّ الإنسان بالقوة والصبر، والثبات والمثابرة، والطمأنينة والأمل في معركة الحياة، التي يحتدم فيها الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، والسعادة والشقاء، إذ تعطي الأمن المطلق، والاهتداء التام، والنور الكامل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢].

من يحيى في رحاب الإيمان، ويعتصم بحبله المتين، ويستضيء بنوره المشرق، فهو يعيش حياته في رؤية واضحة، يدرك بها حكمة الله البالغة، ورحمته الواسعة، وسنته الماضية، وقدرته البالغة، فتطمئن بذلك نفسه، وتصفو سريرته، لأنه يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يتسرب إلى قلبه شك، ولا ينفذ إلى وجدانه القلق، بل يسير في دنياه بخطى ثابتة، وسيرة موزونة، تهدف إلى بلوغ ما يصبو إليه، من نهاية صالحة، ومصير

كريم، يقول نبينا محمد ﷺ في وصية جامعة، تحكي واقعنا اليوم: "**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف**"[1]، وفي رواية: "**احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة..واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**"[2].

الإيمان الصحيح يزود العبد بطاقة كبيرة من اليقين والثقة، وشحنة عظيمة من الصبر والطمأنينة، تأتيه النعم فلا يبطر ولا يستكبر بل يحمد ويشكر، تصيبه المحن وتحل به الشدائد، فلا يقنط ولا ينهار، أو تمزق قلبه الهموم والحسرات، بل يعتصم بالصبر، ويرضى بالقدر، ويستمسك بعزائم الأمور، نعم لأنه يعيش بعقيدته في عطاء دائم، وفق وضوح رؤية، وقوة إدراك وإرادة، ونفوذ بصيرة، يستمد من خلال ذلك قوة الصمود إزاء الأحداث والفتن، فلا تهزّه أعاصيره العاتية، ولا تنال منه محنه القاسية، ولا يصرفه شيء عن إيمانه وتحقيق رضا ربه، مهما كانت من رغبة مغرية، أو رهبة مؤذية، بل لا تزيده إلا ألقاً وصفاءً، وإخلاصاً وصدقاً، وصبراً وثباتاً، يقول ﷺ: "**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**"[3].

أمة الإسلام: إن الأمة التي تحكمها عقيدة التوحيد، وتضبط حياتها حقائق الإيمان ومقوماته، أمة ذات قوة ذاتية وحصانة طبيعية، تجعلها قادرة بإذن الله على التغلب على نتائج المحن، وآثار الأزمات، وموجات الفتن.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة، ورقمه ٢٦٣٥، وقال عنه: حديث حسن صحيح، انظر: الجامع الصحيح، ٤/٧٦ وأحمد في سننه، ١/٢٩٣، ورقمه ٢٦٦٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٠٧، ورقمه ٢٨٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب: في أحاديث متفرقة، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/١٢٥.

من خصائص هذه الأمة - أمة محمد ﷺ -: المناعة المتحققة في كيانها، والتي تحول دون المصائب أن تزعزع ثقتها بربها، والتي تحجز دون نشر ضباب اليأس أن يدبّ في نفوس أبنائها، بل هي أمة لا تزيدها اللأواء والشدائد إلا السير الحثيث في جهود الخير، والتصميم الأكيد على الإصلاح وعمارة الحياة، دون سقوط أو تعثر، ولا غرو، فهي أمة مرّ بها ويمر بها عبر تاريخها الطويل أيام عصيبة ونكبات شتى، لو أصابت أمة غيرها لقضت عليها، وأبادتها وجعلتها أثراً بعد عين، لكنها أمة رباها محمد، مرتبطة بربها، واثقة بوعده، مستيقنة بنصره، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

إخوة الإيمان: إن البعد عن منبع الإيمان العذب، والإخلال بحقائق العقيدة وإقصائها عن مناحي الحياة، والانصراف عن نورها الوضيء، كل ذلك باعث أزمات خطيرة، وسبب مشكلات كبيرة، ومصدر شقاء دائم، وبلاء مستمر، تجعل العيش في هذه الحياة في ظمأ دائم، وظلام دامس، لا هدوء ولا هناء، ولا سعادة ولا رخاء، قلق مستمر، واضطراب مستمر، وغرق في لجج المتاعب، ثم نهاية بائسة، ومصير مرير قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

وما يعصف اليوم بالإنسانية من رياح الشر، ويخيم عليها من نذر الفناء، وما يهددها من أشباح الحروب المدمرة، كل ذلك مصدره الحقيقي بعد كثير من عالم اليوم عن المنهج الإلهي، والعقيدة الربانية، والطريقة المحمدية، ومبادئ العدالة والحرية والمساواة، ومنطق العقل والحكمة والتروي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص:٧٧]، ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

ﭐلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وما لم تبن حياة البشر في الأرض على أسس من منهج الخالق عز وجل، وما لم يقم عقلاء البشر بإدراك تام لأسباب الشرور، وبواعث المشكلات، وما لم تقم المعالجة وفق منطق العدل الشامل، والرأي السديد، في محيط الموازنة المجردة بين المصالح والمفاسد، فلن ينحسم صراع، ولن تجد سفينة الحياة سبيلها إلى شاطئ السلامة، وملاذ الطمأنينة، وأهب الرحمة والتسامح.

ومهما بذل البشر بعيداً عن تلك الأطر، وبمنأى عن تلك المحاور، فلن تحسم أدواؤهم، ولن تحل مشكلاتهم، ولن يقضى على أزماتهم.

أيها المسلمون: تصاب الأمم في بعض أدوارها بكوارث ونكبات، وإن الخطر المخيف ليس في وقوع تلك المصائب والآلام، ولكنه الخطأ في أسلوب علاج التغلب عليها، والانحراف في تطويق نتائجها، وعدم التعقل لأسباب الحيلولة دون تكرارها، فسوء التقدير لمثل ذلك، وعدم التبصر في الحقائق لا ينجم عنه سوى السقوط المرير، والمصير الرهيب المليء بالعثرات، والمزدحم بالمزالق والعواقب السيئة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦]، ونبينا ﷺ يقول: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان..."(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الآيات والبيان، أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم"(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في التأني والعجلة، ورقمه ٢٠٨١، وقال عنه: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس، وضعفه من قبل حفظه، انظر: الجامع الصحيح، ٣/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) الموقع الالكتروني للخطبة:
http://www.khotab.Net/madina/madina. 25-7-1422.htm

وهكذا يظهر من خلال هذه الخطبة آثار العقيدة في حياة الأفراد والجماعات، وقدرتها على معالجة الاختلالات الاجتماعية والتربوية في حياة المسلمين، فهي القادرة على ضبط سلوك الإنسان، ولجمه عن المعاصي، بالإضافة إلى آثارها النفسية على المسلم، فهي التي تسكب في نفسه الطمأنينة، والرضى بما يحل به من المصائب، فلا يجزع ولا ينهار، بل يصبر ويحتسب، ويواصل مسيره في الحياة بلا قلق ولا اضطراب، معتصماً بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، فإذا الحياة في حسه مشرقة بنور الإيمان ودفء اليقين.

والحمد لله رب العالمين،،،

خاتمة البحث

وبعد: ففي ضوء ما تقدم، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١ - العقيدة هي أساس الإسلام، ومحور دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ثم فإن كل عمل لا يرتكز على هذا الأساس لا قيمة له عند الله تعالى.

٢ - المحور الرئيسي الذي كانت تدور حوله خطب الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل في التذكير بقضايا الإيمان، باعتبارها العامل الأهم في حفز الناس على الالتزام بالسلوك القويم والبعد عن السلوك المنحرف.

٣ - سلطان العقيدة على النفوس أقوى من سلطان القانون، ذلك أن العقيدة تفرض رقابة على الإنسان في ليله ونهاره، وفي سرّه وعلانيته، وهذا لا يتوفر لأي قانون وسلطان في الأرض، ومن هنا فإن على خطباء الجمعة، ووسائل الإعلام، ومؤسسات التعليم المختلفة الحرص على ترسيخ العقيدة في النفوس، ليكون سلطانها محركاً للطاقات الكامنة، وموجهاً للسلوك الإيجابي الفاعل، فهي كفيلة أن تقوّم الاختلالات التربوية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، وهي -بلا شك- كثيرة وعميقة في حياة المسلمين.

٤ - لخطبة الجمعة أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، فهي تشكل عاملاً هاماً في تصحيح الأخطاء التي تقع داخل المجتمع المسلم، وتقوّم السلوك، وتوجّه الرأي العام للتفاعل مع قضايا الأمة، وتسهم إسهاماً كبيراً في تدعيم البناء الاجتماعي للمسلمين، وهي تجسّد الوحدة الفكرية والشعورية والسلوكية والسياسية وغيرها في حياتهم.

٥ - تشكل خطبة الجمعة رأياً عاماً فاعلاً، لعله يتفوق على الوسائل الإعلامية الأخرى، شريطة اختيار الخطيب المؤهل لذلك، وعلى خطيب الجمعة استثمار الرصيد الشعبي-على اختلاف مستوياته-في الوصول إلى الأهداف النبيلة، المرتكزة على الإيمان بالله تعالى.

٦ – لخطبة الجمعة أثر كبير في ترسيخ الإيمان في نفوس المسلمين، وتصحيح المخالفات العقدية في المجتمعات، وتنمية روح الولاء عند المسلمين، والبراءة من كل أعداء الدين والأمة، وعى خطيب الجمعة أن يستثير في الناس كوامن الفطرة، وأن يقدم الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وأن يستفيد من دلائل وحدانية الله تعالى في الآفاق والأنفس، التي تغرس اليقين في النفوس الحائرة، وتردّ التائهين إلى الحق، وتؤصّل العقيدة الحقة في قلوب كثير من المسلمين الذين كانوا ضحية للغزو الفكري المادي، والذي ما زالت آثاره المدمّرة واضحة في كل جانب من جوانب حياتهم.

التوصيات

١ - اختيار الخطباء الأكفاء ممن تتوافر فيهم الصفات العلمية والسلوكية، لتؤتي خطبة الجمعة ثمارها المرجوة. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال عقد دورات للخطباء، ليكتسبوا المهارات اللازمة التي تؤهلهم لذلك، والاستفادة من التقنيات الحديثة كوسائل معينة للخطيب في تحقيق خطبة فاعلة تستقطب الناس وتحدث الآثار التربوية والاجتماعية في حياتهم.

٢ - أن يكون لخطيب الجمعة استقلالية وحصانة، كما عليه الأمر في القضاء، مع التزام الخطيب بأدب الكلمة في التوجيه والنقد، والبعد عن التجريح والتشهير، وصولاً إلى خطبة مؤثرة ومحققة لأهدافها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

مراجع البحث

- أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية، **محمد محمد أبو زيد**، ط١، دار الوفا للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ١٤١٢/١٩٩٢.
- أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، **أبو بكر محمد بن الحسين الاجري**، تحقيق: عبدالله عسيلان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، **محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي**، ط دار المعرفة، بيروت.
- البداية والنهاية، **أبو الفداء إسماعيل بن كثير**، ط١، مكتبة دار المعارف، بيروت، ١٩٦٦.
- تاج العروس، **محمد مرتضى الزبيدي**، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٧هـ.
- تاريخ الطبري، **محمد بن جرير الطبري**، دار المعارف، القاهرة.
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، **الطاهر أحمد الزاوي**، ط٢، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- التعريفات، الشريف **علي بن محمد الجرجاني**، ط مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن العظيم، **أبو الفداء إسماعيل بن كثير**، ط١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- تقويم نظرية الحداثة، **عدنان علي رضا النحوي**، ط١، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢/١٩٩٢.
- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، **فريد الأنصاري**، ط١، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ٤٧، السنة الخامسة عشرة، ١٤١٦/١٩٩٥.
- الجامع الصحيح(سنن الترمذي)، **أبو عيسى محمد بن سورة**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- جامع العلوم والحكم، **عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي**، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٢/١٩٦٢.
- الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، **محمد أبو زهرة**، ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٨٠.
- الدلالة العقلية في القرآن الكريم، **عبد الكريم عبيدات**، ط١، دار النفائس، عمان، ١٤٢٠/٢٠٠٠.
- الرسالة الخالدة، **عبدالرحمن عزام**، ط١، يوسف حماد عمان، الأردن ١٣٩٥ / ١٩٧٥.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، **ابن قيم الجوزية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩.
- السلوك الاجتماعي في الإسلام، **حسن أيوب**، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧/١٩٩٦.
- سنن أبي داود، **سليمان بن الأشعث السجستاني**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- السيرة النبوية، **عبدالملك بن هشام المعافري**، مكتبة ومطبعة عبدالسلام بن شقرون، العباسية مصر.
- شرح السنة، **الحسين بن مسعود الفرّاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠/١٩٧١.
- شرح العقيدة الطحاوية، **لابن أبي العز الحنفي**، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١.
- صحيح مسلم بشرح النووي، **مسلم بن الحجاج النيسابوري**، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، **محمد أحمد ملكاوي**، ط١، دار ابن تيمية للنشر، الرياض ١٤٠٥-١٩٨٥.
- غريب الحديث، **لأبي عبيد بن القاسم الهروي**، ط١، حيدر أباد، الهند، ١٣٨٧/١٩٦٧.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، **أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، ط١، المكتبة السلفية.
- فتح القدير، **محمد بن علي الشوكاني**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية، **محمد صالح سمك**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨.
- في ظلال القرآن، **سيد قطب**، ط١٠، دار الشروق، بيروت.
- قصة الإيمان بين الفلسفة والدين، **نديم الجسر**، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٩/١٩٦٩.
- لسان العرب، **جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور**، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.
- لقاء المؤمنين، **عدنان علي النحوي**، ط٣، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، **أبو الحسن الندوي**، ط٩، دار العلم، الكويت.
- مجلة البيان، العدد ٢٠٣، الرياض، السعودية ١٤٢٥ - ٢٠٠٤، ندوة بعنوان: دور خطباء الجمعة في الارتقاء بخطبة الجمعة ص ٤٥.
- مجلة هدي الإسلام، **وزارة الأوقاف الأردنية**، العدد الخامس، مجلد ٣٢، ١٤٠٨/١٩٨٨، مقال: دراسة في خطبة الجمعة، يحى سالم الأقطش.
- المرجع في تدريس علوم الشريعة، **مجموعة مؤلفين، تحرير عبد الرحمن صالح عبدالله**، ط١، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤١٧/١٩٩٦.
- مسند الإمام **أحمد بن حنبل**، ط بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩/١٩٩٨.
- معايير بناء الخطبة وفنياتها، **صالح ذياب هندي**، بحث ضمن فعاليات الأوراق العلمية الخاصة بورشات العمل لجميع خطباء مساجد المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الأوقاف، عمان، الأردن، ١٤٢١/ ٢٠٠٠.

- المعجم الوسيط، **مصطفى إبراهيم وآخرون**، ط دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٩٨٩.
- موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك، **مالك بن أنس**، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٠/١٩٥١.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، **محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، **عدنان علي النحوي**، ط٥، دار النحوي، الرياض، ١٤١٥/١٩٩٥.
- النشرة الإحصائية السنوية، دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، العدد ٣٥، ١٩٨٤.
- نظام السلم والحرب في الإسلام، **مصطفى السباعي**، دار الوراق، الرياض.
- النظرية العامة للدعوة الإسلامية: نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، **عدنان علي رضا النحوي**، ط٢، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٤/١٩٩٣.
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، **علي محفوظ**، ط٧، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٣٩٥/١٩٧٥.

Jum'a Speech (oration) And Its Impact In Establishing Belief And Its Relation To Education And Social Aspects

Dr. Abdu Kareem Nofan Obeidat
Prof. associate in Belief Division - Sharia and Law Faculty
Private Irbed University - Jordan.

Jum'a speech occupies a high place in Islam. Perhaps it surpasses other Da'wa means owing to the highly esteemed Friday or Jum'a The Holy Day for Muslims. It attracts a public of various cultural and social levels of audience.

The speech, in the time of TheHoly Prophet(peace be upon him) focused on establishing belief in people through attracting Muslims by Paradise and frightening them from Hell. The prophet speeches were the most effective media weapon in Muslim society which led to great change in various aspects of life and made Muslims the best Omma in the world.

This study focuses on the importance of Jum'a speech in establishing belief in the hearts of people and its impact on educational and social aspects of Muslim societies as Iman (Faith) is able to release hidden unused energy and control vicious caprices. Iman (faith) is able to treat social and educational shortcomings and defects of Muslims. These social diseases are varied and deep.

Jum'a speech has pioneer role in this field stronger than the power of law if we can select efficient speakers.